القَوْلُ السَّدِيدُ

شرح

كِتَابِ التَّوْحِيدِ

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

ت ١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى

تأليف العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ رحمه الله تعالى

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الثبات للنشر والتوزيع

شارع السويدي العام - شرق النفق

ص.ب: ٦١٥٤٠ - الرياض: ١١٥٧٥

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٧٨٠٥٩ - ٢٦٧٨٠٥٨

تلفاكس: ٤٢٨٣١٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشـــر

اللهم لك الحمد على ما يسرت وأعنت، ولك الحمد على ما أسديت وأوليت، فما زلت يا ربنا بنعمك وآلائك تغذينا، ومازلت بفضلك وعونك تعطينا، وها نحن نتحدث بنعمك كما أمرتنا بقولك: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وأية نعمة أعظم وأجل من هذه النعمة التي نحن فيها؟ وأي فضل أحب إلينا من هذا الفضل الذي نحن فيه؟ بل أي تشريف وتكريم ننعم به عندما هيَّأ لنا ربنا خدمة كتابه وسنة نبيه ﷺ؟ فإذا كان أهل الدنيا والشرف والجاه يتباهون بدنياهم وشرفهم وجاههم فحقٌّ لنا وحريٌّ بنا أن نفاخر ونكاثر بهذا الفضل والنعيم والسؤدد الذي أكرمنا به مولانا ونحن خدَّام شرعه وحفظة سنته والذابين عن عقيدته ودينه وشرعته.

وقد تشرفنا من قبل فأصدرنا «**عمدة الأحكام الصغرى**» و«**عمدة الأحكام الكبرى**» و«**الرد على الجهمية**» ومن كنوز الفتاوى ١ـ فتاوى حول بعض الكتب. ٢ـ شبهات وإشكالات حول بعض الأحاديث والآيات. وكلاهما لسماحة المشايخ ابن باز وابن عثيمين وعبد الرزاق عفيفي ـ رحمهم الله ـ وأصحاب الفضيلة المشايخ صالح الفوزان وابن جبرين ـ حفظهما الله ـ وها نحن الآن نتابع السير في هذا الطريق الطيب ونتبع الحسنة بحسنة بعدها، فهذا «**القول السديد في مقاصد التوحيد**» للشيخ الطيب المطيب عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ في شرح «**كتاب التوحيد**»

للإمـام المجدد شيخ الإسلام وزينـة الليالي والأيام محمد بـن عبـد الوهاب ـ رحمه الله ـ نقدمه لطلبة العلم وعموم المسلمين في حلة قشيبة زاده حسنًا على حسنه، وجمالاً على جماله، تحقيق أخينا الشيخ صبري بن سلامة شاهين الذي أجاد وأحسن وزيّن حواشيه بدرر وجواهر من أقوال أهل العلم الموثوق بديانتهم وعلمهم وعدالتهم، الأمر الذي يجعلنا نقدمه للقراء ونحن نفخـر بهذا العمل الجليـل والجهد المبـارك الـذي نسـأل الله ـ عز وجل ـ أن يكتب له القبول الحسن ليعم النفع به ويتتابع العمل بما فيه، وكلنا أمل في الله عز وجل أن يدخر الأجر الجزيل والثواب الجميل للمصنف والشارح والمحقق والناشر ليوم العرض عليه، يوم أن نكون أحوج ما نكون لحسنة ننجوا بها بفضل الله وكرمه في هذا اليوم العصيب.

وها هي دار الثبات للنشر والتوزيع ما تزال على المبدأ، فتنشر وتطبع ما تقوم به الحجة وتظهر به المحجة ونقدم المعذرة إلى ربنا، فهو سبحانه حسبنا وملاذنا ومولانا.

الناشـــر

دار الثبات للنشر والتوزيع

بالرياض

ت: ٠١٤٢٨٣١٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الملك الوهاب، الذي يقبل من عبده إذا تاب وأناب، فهو سبحانه ذو الحكم المطاع، ولأمره التسليم والانقياد بلا توقف أو نزاع، فآياته أنارت القلوب والأبصار، وشنّفت الأسماع، وهدت الحيارى إلى سبيل الحق والرشاد، وأنقذت كل من أسلم وخضع وانقاد، ونجا وفاز يوم العرض على رب العباد، من هول المطلع والمحشر يوم التناد ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ﴾ [غافر: ١٦].

أحمده سبحانه وهو أهل للحمد والثناء، وأشكره على وافر عطائه، حيث أباح للعالمين معرفته، ودعا إلى عبادته، فانقسم الناس إلى شقي وسعيد ومطيع وعنيد، آثر فريق رضا مولاه، فعبده واجتهد في طاعته، وتنكب فريق آخر السبل وضل الطرق، وزهدوا في كتاب ربهم السهل الميسور، وأعرضوا عن سنة نبيهم التي تفيض بالنور، وضحك عليهم إبليس اللعين، ومرَّغ أنوفهم في الطين، فأوحى إليهم: أن يقولوا: ما لنا وما في هذه الموائد! فنحن لسنا أهلاً لذلك. فلابد لنا من وسائط. فراحوا يطوفون بالقبور، وطفقوا يستنجدون بالموتى والصخور. فيا لها من نعمة قد كفروها! ويا لها من منَّة قد ردوها. فما أشبه هؤلاء بحال الأعرابي الذي دخل عليه رسول الله ﷺ يعوده، فقال له: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» فقال الأعرابي وقد رد الخير

الذي أعطاه، وأطفأ النور الذي أسداه، وكفر النعمة، فقال ردًّا على الرسول مستنكرًا ومتعجبًا: طهور؟! كلا، بل هي حُمَّى تفور على شيخ كبير، تزيره القبور. فقال النبي ﷺ: «فنعم إذاً»[1]. فنعوذ بالله من الضلال، وكفران النعم وحلول النقم.

والحمد لله على فضله وإحسانه، ما زال يجود علينا بنعمه وآلائه، وما زال فريق من الناس يؤاخي الوسواس الخناس، ويفعل الشرك ليل نهار، وما يرى فيه من باس. فإذا عرضت عليه الآيات والأحاديث، قابلك بشبهات عدو الله الخبيث ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر:٤٩ ـ ٥١].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين، وجعلنا من أمة خير المرسلين، فما أعظمها من منّة، وما أفضلها من عطية، أن اختارنا مسلمين، ومنَّ علينا فجعلنا من حملة دعوته، والداعين إلى شرعه وملته، والحامين لحوزته. فاللهم لك الحمد على ما أعطيت وأوليت، ولك الحمد على ما تفضلت وأنعمت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف بتقصيره وتفريطه وتخليطه، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمداً عبده ورسوله المجتبى ونبيه المصطفى، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٦٥٦).

الله من أفضل وأعظم ما كتب في توضيح عقيدة التوحيد، وقد تتابع ثناء العلماء عليه، فقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ رحمهم الله: هو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله: جمع على اختصاره خيراً كثيراً، وضمَّنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفَّقه الله، وبيَّن فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله.

وقال الشيخ أحمد بن مشرف رحمه الله:

وألّف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدى الرحمن للحق من هدى

نصوصاً من القرآن تشفي من العمى ... وكل حديث للأئمة مسندا

وقال العلامة المؤرخ ابن بشر رحمه الله: ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله: كتاب التوحيد الذي ألفه شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ أجزل الله له الأجر والثواب ـ ليس له نظير في الوجود، قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله وأنزل كتبه، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه، فصار بديعاً في معناه لم يسبق إليه: علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعكف عليه الطلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعمَّ النفع به.

وقال الشيخ سلمان بن حمدان رحمه الله: كتاب التوحيد بديع الوضع، عظيم النفع، لم أر من سبق إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد، يبنى عليه كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينًا، فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفّه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع.

وقال الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من أكبر الكتب نفعاً في معرفة التوحيد وأقسامه، والتحذير من الشرك وأنواعه وسد الذرائع الموصلة إليه وبيان شوائبه وما يقرب منه.

وقال الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله: كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ أجزل الله له الأجر والثواب ـ قد جاء بديعاً في معناه من بيان التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد.

وقال الشيخ عبد الله الجار الله رحمه الله: ألف عدة مؤلفات قيمة ـ يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ومن أهمها: هذا الكتاب القيم، الذي هو من أهم الكتب المصنفة في التوحيد.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: أوصي إخواني طلبة العلم مع العناية بالقرآن والسنة بالعناية التامة بكتب العقيدة وحفظ ما تيسر منها، لأنها الأساس والخلاصة من علوم الكتاب والسنة، مثل: كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وقال الشيخ عبد الله البسام حفظه الله: هو من أنفس الكتب، ولم يصنف على منواله.

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: هذا الكتاب من أنفس الكتب المؤلفة في باب التوحيد، لأنه مبني على الكتاب والسنة.

وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: ومن الكتب القيمة التي لا يستغني عنها مسلم كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى[1].

قال الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان حفظه الله: موضوع الكتاب: هو توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية، فكان هذا التوحيد أعظم حظا من حظ ما سواه من أنواع التوحيد، والسبب في ذلك أن هذا التوحيد يتضمن أنواع التوحيد كلها، فلا يتصور إله حق ليس هو خالق رازق محيي مميت، ليس متصفاً بصفات الجمال والكمال ومسمى بأفضل الأسماء وأحسنها، كما أن الكتاب قد عالج إبطال الشرك ومظاهره الذي هو ضد توحيد الألوهية والعبادة، وهو بذلك يقتدي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٥]، فاشتملت الآية على الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك الذي هو ضده وقد تعرض رحمه الله لتوحيد الصفات في باب سماه «باب من جحد شيئاً من

(١) مستفاد من كتاب «كتب أثنى عليها العلماء» تأليف عبد الإله الشايع (ص١٨٧ ـ ١٩١).

الأسماء والصفات» وباب «احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك»، وباب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يكاد يتعرض لتوحيد الربوبية إلا في إطار تقرير توحيد الألوهية، لأن الربوبية داخلة في الألوهية دخولاً أوليًا، كما في باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠].

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد:

ويمكن حصره فيما يلي:

١ـ إنه كتاب أثري يعتمد على الآية والحديث والأثر وأقوال السلف.

٢ـ كل باب فيه ابتدىء بآية أو آيات أو حديث أو أثر.

٣ـ ذيل كل باب بمسائل هي في الحقيقة أحكام الباب أو ما يستفاد من هذه النصوص والآثار.

٤ـ أخذ في معالجة الموضوعات المختلفة حول توحيد الألوهية طريقة التفصيل بعد الإجمال.

٥ـ ترتيبه للأبواب اعتبرت فيه أولويات الموضوعات بحسب أهميتها وقربها من توحيد الألوهية.

٦ـ اختص الكتاب بعلاج ما يتعلق بتوحيد الألوهية دون سواه، وإن لم يخل من إشارات خاطفة لغيره من أنواع التوحيد.

٧ـ رتبت المسائل التي هي استنباطات حسب ترتيب نصوص الباب.

٨ـ ينقل بعض الإفادات عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة

ابن القيم.

٩ـ الكتاب فريد في بابه من جهة الجمع أو طريقة العرض أو ترتيب الأبواب ودقة المستنبطات.

طريقة الكتاب:

ويمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـ تقسيم الكتاب إلى أبواب.

٢ ـ وُضِعَ عنوان للباب يعبر عما سيعالج فيه من معاني عقدية.

٣ ـ ابتداؤه بآية أو عدة آيات تدل على موضوعه، ثم بعد ذلك سياق الأحاديث والآثار.

٤ ـ تذييله بمسائل هي مستنبطات من تلك النصوص والآثار.

٥ ـ يلاحظ أن الكتاب ليس للمؤلف فيه أي جهد غير الجمع والترتيب والتبويب واستنباط الأحكام، ويبدو أن المؤلف رحمه الله أراد بذلك بيان أن دعوته أصولها التي تبنى عليها هي الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

٦ ـ ما جمع من الآي والحديث والأثر في أبواب الكتاب هي نصوص في بابها، لا تحتمل غير ما عنونت به أبوابها، والذي يظهر أن الشيخ رحمه الله أراد الإلزام التام لمن قرأ الكتاب بما فيه لوضوح دلالته وعدم احتمالها، ولأن الدليل إذا كان نصًّا واضح الدلالة لا معارض له كان ألزم في الحجة، وأظهر في تقرير مدلوله وسهولة

الوصول للمراد منه، ولأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية صحيحة المعنى، ولا مدخل للاجتهاد فيها من جهة، ولأنها من الوضوح بحيث يكون أي كلام غيرها ليس بأصرح منها في معانيها من جهة اللغة العربية التي هي لغة الوحي؛ ليبطل دعوى أنه جاء بذلك من قبل نفسه اجتهاداً وفهماً، فيكون ذلك معبراً عن رأي صاحبه غير ملزم لسواه ممن يخالفه في الاجتهاد والفهم.

٧ ـ مسائله مختصرة الألفاظ واضحة المعاني، صيغت بلغة سهلة ميسورة الفهم.

٨ ـ يعتبر الكتاب بالنسبة لما ألف مختصراً مفيداً سهل الحفظ جامعاً مانعاً في بابه.

٩ ـ بعض الأبواب يجعل الآية عنواناً لها، إشارة إلى أن الباب يعالج مدلول هذه الآية ومعناها ومقصودها.

١٠ ـ الإجمال في بعض المسائل كقوله: تفسير آية البقرة.

١١ ـ الأحاديث الضعيفة قليلة وأكثرها صحيحة، والضعيف فيها ليس متفقاً على ضعفه، وأما الأحاديث الموضوعة فهو منزه عنها فلا توجد فيه.

١٢ ـ أحاديثه وآثاره مجردة عن أسانيدها، وآياته غير منسوبة لسورها ولا مرقمة الآي.

١٣ ـ ينسب الأحاديث والآثار إلى كتب السنة دون تحديد الموضع،

وكثيراً ما يترك الحكم على الحديث.

١٤ ـ أكثر أحاديثه في البخاري ومسلم أو أحدهما أو بقية الكتب الستة: كمسند الإمام أحمد، ويقل أن يأتي بشيء من غيرها: كمصنف عبد الرزاق، وهو مرجع عظيم في الآثار وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني ونحوها.

١٥ ـ ينقل الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا يكاد ينقل عن سواهم شيئاً إلا نادراً جدًّا: كنقله لبعض الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

أهمية الكتاب:

تأتي أهمية كتاب التوحيد من جهة تقريره لأعظم أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، والكلام على إفراده، وضده الذي هو الشرك وأعظم ذنب عُصِيَ الله به، ومن جهة كونه كتاب أثري قد استوعب في طياته عدداً من النصوص والآثار الدالة على صحة ما عقد له الكتاب.

وهو أيضاً كتاب فريد في تأليفه وترتيبه مبتكر في فكرته وطريقة عرضه، ولا يعرف كتاب يشابهه في ذلك أو يقاربه.

وتزداد أهميته إذا علمنا أنه لم يؤلف بعد إلى الآن كتاب على منواله، ولا أعلم أيضاً كتاباً مثل طريقته ووضع على شاكلته، ولهذا كله فقد اعتنى علماء الدعوة السلفية وخاصة في نجد بشرحه والتعليق عليه ووضع الحواشي المفيدة له وتأليف الكتب لاستنباط ما يدل عليه من أحكام عقدية.

ولم يزل محلاً لعناية العلماء السلفيين وخاصة في المملكة العربية السعودية، ولا يكاد أن يوجد طالب علم فيها إلا وقرأه ودرسه مع بعض شروحه.

شروح كتاب التوحيد:

وأهم شروحه:

١ ـ تيسير العزيز الحميد، لحفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب العلامة المحدث الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وقد شرحه إلى أن بلغ باب ما جاء في منكري القدر.

٢ ـ فتح المجيد، وهو للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

٣ ـ قرة عيون الموحدين، وهو شرح مختصر لمؤلف فتح المجيد.

٤ ـ إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سعد بن عتيق.

٥ ـ القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٦ ـ حاشية، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٧ ـ تعليق مفيد جدًّا، للشيخ محمد منير آغا الدمشقي.

٨ ـ الدر النضيد، للشيخ سعد الجنيدل.

٩ ـ التعليق المختصر المفيد للدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

١٠ ـ الجديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد العزيز القرعاوي[1].

١١ ـ القول المفيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

ولقد حرصت على أن يكون عملي هذا على جادة الصواب: إرضاءً لربي، وخدمةً لديني، وتحفةً أسديها لإخواني طلبة العلم، وعامة المسلمين، وسلكت سبيل التسديد والمقاربة، فإن وفقت فهذا محض مِنَّةٍ من الرب الكريم، وإن زل القلم أو شرد الذهن أو لحق عملي خلل أو خطأ أو تخليط فأستغفر الله من كل ذلك، وأقر بأنه بسبب تقصيري، فإني لست من فرسان هذا الميدان، بل متطفل على موائد أهل العلم والعرفان، سائلاً المولى الكريم المنان أن يتقبل أعمالي، ويبارك في صنيعي، ويثقل موازيني، وينير وجهي، ويتجاوز عن العصيان، وأصلي وأسلم على النبي محمد سيد ولد عدنان وآله وصحبه.

كتبه أبو عبد الرحمن

صبري بن سلامة بن شاهين

بمدينة الرياض في ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤٢٤هـ

جوال: ٠٥٤٢٩٤٦٩١

ص ب ٣٨٠٩٣٧ ـ رمز بريدي ١١٣٤٥

الصف والإخراج: ٤٩١٣٠١٦ ـ ٠٥٣١٦٣٠٧٩

---

(١) تعريف الخلف بمنهج السلف (ص٣٠٣ ـ ٣١٣) باختصار.

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1]

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد ابن راشد بن بريد بن مشرف النجدي التميمي. ولد سنة ١١١٥هـ ونشأ في بيت علم، فوالده من علماء البلاد وتولى القضاء في عدة جهات، وجده الشيخ سليمان كان عالماً جليلاً وإماماً في الفقه، وهو المفتي في البلاد في وقته، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم، وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان كان من أجلة العلماء، فنشأ الشيخ محمد في هذا الجو العلمي، وكان حاد الذهن متوقد الذكاء سريع الحفظ، حفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة، ودرس على والده كتب الفقه الحنبلي، وكان كثير المطالعة والقراءة للكتب إلى جانب قراءته على والده، فقرأ في كتب التفسير والحديث والأصول، وعني عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب العلامة ابن القيم، وكان لكتب هذين الإمامين أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية المتميزة، والأخذ بيده إلى مصادر العلم الصحيحة، فتكون لديه الاتجاه السليم منذ صغره، وتركزت في قلبه العقيدة الصحيحة، وتخرج على كتب هذين الإمامين المحققين.

---

(١) أخذت ترجمة الشيخ رحمه الله من كتاب: من مشاهير المجددين في الإسلام، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله. (ص٥٦ ـ ٨٣) باختصار.

رحلاته العلمية:

ولما استوعب ما يدرس في بلدته من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير تطلع إلى الزيادة، وعزم على الرحلة إلى علماء البلاد المجاورة للاستفادة من علومهم، فرحل إلى البصرة وإلى الأحساء وإلى مكة والمدينة، والتقى بعلماء تلك البلدان، وأخذ عنهم، واستحصل على الكتب والمراجع، ولنترك المجال لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ليحدثنا عن تلك الرحلات المباركة، قال:

إنه نشأ في طلب العلم، وتخرج على أهله في سن الصبا، ثم رحل لطلب العلم للبصرة مراراً وللأحساء ثم إلى المدينة. ثم قال في تفصيل ذلك: فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في الشرح الكبير والمغني والإنصاف، لما فيهما من مخالفة ما في متن المنتهى والإقناع، وعلت همته إلى طلب التفسير والحديث، فسافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فأظهر الله له أصول الدين ما خفي على غيره، وكذلك ما كان عليه أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات والإيمان.... إلى أن قال: فصنف في البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله بتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث... إلى أن قال: ثم إن شيخنا رحمه

الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة وتحصيل ما حصل بنجد، وهناك رحل إلى الأحساء وفيها فحول العلماء منهم عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد، وحضر مشايخ الأحساء ومن أعظمهم عبد الله بن عبد اللطيف القاضي، فطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدَّر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا أمر مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد.... إلى أن قال: ثم إن شيخنا رحمه الله رجع من الأحساء إلى البصرة، وخرج منها إلى نجد قاصداً الحج فحج رحمه الله تعالى، وقد تبين له بما فتح الله تعالى عليه ضلال من ضل باتخاذ الأنداد وعبادتها من دون الله في كل قطر وقرية إلا أن شاء الله، فلما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصداً المدينة مع الحاج فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها، فأقام بها وحضر عند العلماء إذ ذاك منهم محمد حياة السندي، وأخذ عنه كتب الحديث إجازة في جميعها، وقراءة لبعضها ووجد فيها بعض الحنابلة، فكتب كتاب الهدي لابن القيم بيده، وكتب متن البخاري، وحضر في النحو وحفظ ألفية ابن مالك. حدثني بذلك حماد بن حمد عنه رحمهما الله، ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله، انتهى المقصود. الدرر السنية (٩/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

فأنت ترى أيها القارىء من هذا السياق قوة الأسباب التي بذلها الشيخ لتحصيل العلم: كثرة الحفظ وكثرة القراءة والاطلاع وكثرة الرحلات في طلب العلم، للتلقي عن العلماء مع شدة الذكاء والنية الصالحة، إن هذه الأسباب مع توفيق الله تعالى كفيلة بتوفر التحصيل، وهذا ما حصل.

حالة المسلمين عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لقد ذكر المؤرخون كابن غنام وابن بشر وغيرهما عن حالة أهل نجد خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً الشيء الكثير من ظهور البدع والخرافات والشركيات والجهل بحقيقة الدين الصحيح؛ ففي نجد كانت القبور والأشجار والأحجار والمغارات تعبد من دون الله بأنواع من القربات، وفي الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد من ذاك الشيء الكثير.

بدء دعوة الشيخ محمد رحمه الله:

في وسط هذا الجو المظلم الذي سبق وصفه سطعت دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، ورفع صوته منكراً هذا الشرك، داعياً الناس إلى التوحيد، الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، فلقي من الناس ما يلقاه أمثاله من الدعاة إلى الله من الأذى، وأطاعه من وفقه الله لقبول الحق. يقول حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله ولا يرضاها من الشرك بعبادة الأموات والأشجار والأحجار والجن، فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد، وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله، وأن يتركوا ما كانوا يعبدونه من قبر أو طاغوت أو شجر

أو حجر، والناس يتبعه الواحد منهم والاثنان، فصاح به الأكثرون، وحذروا منه الملوك وأغروهم بعداوته. انتهى من الدرر السنية (٩/ ٢١٦).

وهذا لا يعني أنه لا يوجد علماء في هذا العصر، بل يوجد منهم الكثير، ولكنهم ما بين مستحسن لهذا الوضع السيء، أو غير مستحسن لكنه لا يملك الشجاعة لمقاومته.

المراحل التي مرت بها دعوة الشيخ محمد رحمه الله:

بدأ الشيخ دعوته في بلدة حريملاء لوجود والده فيها، ولكن لما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة بحثا عن غيرها، فاتجه إلى العيينة واتصل بأميرها عثمان بن معمر، فساعده في أول الأمر، واجتمع حوله طلبة، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية، فهدم بعض القباب الشركية ورجم في الزنا، ثم إن ابن معمر تخلى عنه خوفاً من تهديد بعض الرؤساء، فترك الشيخ العيينة، وبحث عن غيرها، فاتجه إلى الدرعية واتصل بأميرها محمد بن سعود، وعرض عليه دعوته، فقبلها وبايعه على مناصرته، وصدق في ذلك، وهنا استقر الشيخ رحمه الله، وانعقدت حوله حلق الدروس، ووفد إليه الطلاب من مختلف الجهات، وتكونت في هذه البلدة ولاية إسلامية أميرها الإمام محمد بن سعود وموجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وامتدت الدعوة إلى البلاد المجاورة، ونشأ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد وقمع الشرك، وما هي إلا فترة وجيزة حتى انتشرت الدعوة وتوحدت جميع البلدان النجدية تحت رايتها، وامتدت فيما بعد ذلك إلى الحجاز وعسير وشمال الجزيرة، وكان ذلك بفضل الله وحده، ثم بمؤازرة آل سعود لهذه

الدعوة المباركة، وصدق الله وعده ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

ثمرات دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وآثارها:

إن كل دعوة من الدعوات وكل عمل من الأعمال إنما تعرف قيمته من ثمراته المترتبة عليه، ومن أثره الذي يتركه، وإن دعوة الشيخ ـ ولله الحمد ـ لما كانت دعوة خالصة لله مترسمة منهج رسول الله ﷺ مستمدة علمها من الكتاب والسنة صار لها أطيب الأثر، واستمر نفعها وبقي أثرها، وانتجت للأمة خيرات كثيرة منها:

١ـ تصحيح العقيدة الإسلامية مما علق بها من الشركيات والبدع والخرافات، وإرجاعها إلى منبعها الصافي من كتاب الله وسنة رسوله، وقد طهر الله كل البلاد التي صار لهذه الدعوة المباركة فيها نفوذ وسلطة من جميع مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

٢ـ امتداد أثر هذه الدعوة المباركة خارج بلادها، حتى انتفع بها من هدفه الحق في مختلف بلدان العالم الإسلامي في الشام ومصر والمغرب العربي وأفريقيا والسودان واليمن والعراق والهند والباكستان وأندونيسيا وغيرها.

٣ـ وجود حركة علمية واعية متحررة من التقليد الأعمى، فانتشر التعليم في المساجد في مختلف مناطق البلاد، حتى تخرج فيه علماء أفذاذ في حياة الشيخ، وبعدها قاموا بنشر هذه الدعوة ورعايتها إلى يومنا هذا، ثم أسست لهذا التعليم جامعات إسلامية تخرج الأفواج تلو الأفواج من مختلف

العالم الإسلامي مسلحين بالعقيدة الصحيحة والفكر السليم، ينتشرون في العالم الإسلامي وغيره للدعوة إلى الله.

٤ـ نشاط حركة التأليف والنشر، فقد قدم علماء هذه الدعوة للأمة الإسلامية رصيداً من الكتب النافعة في الأصول والفروع ومن ذلك:

* مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة، ويتكون مجموعها من اثني عشر مجلداً في الفقه والعقائد والتفسير والحديث والسيرة.

* مجموع الفتاوى والرسائل لعلماء الدعوة، ويتكون من أحد عشر مجلداً.

* كتب ألفها أئمة الدعوة في مختلف العصور للرد على خصوم الدعوة، تبلغ العديد من المجلدات، وهي مطبوعة ومتداولة.

* نشر كتب السلف وتوزيعها على المسلمين في موسم الحج وغيره.

نشر كل مفيد من المؤلفات العصرية وتوزيعها مجاناً.

ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله[1]

هو العالم الجليل، والداعية الشهير، الزاهد، الورع، الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر بن عبد الله آل سعدي، من نواصر بني تميم.

ولد الشيخ عبد الرحمن في مدينة عنيزة إحدى محافظات منطقة القصيم، في اليوم الثاني عشر من شهر محرم من عام سبعة وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية.

نشأ الشيخ عبد الرحمن يتيم الأبوين، وقام أخوه بتربيته ورعايته، فنشأ نشأة صالحة كريمة، وعاش حياة العلماء الصادقين المخلصين زاهداً معرضاً عن الدنيا وزخرفها، مقبلاً على الآخرة، منقطعاً للعبادة والعلم، لا يشارك الناس فيما يهتمون به من المناصب والجاه والنفوذ، ناهيك أنه عرض عليه القضاء مراراً فأبى أن يدخل الميدان. كان شديد الاجتهاد في أبواب الخير والعبادة، كالإحسان إلى الناس، وإصلاح ذات البين، والتعليم والدعوة والنصح، وزيارة المرضى، والتحبب إلى الناس، وكان باذلاً للعلم ناشراً له، بل صرف كل أوقاته للتعليم والإفادة، وكان يحرص على إصلاح ذات

---

(١) أخذت ترجمة الشيخ رحمه الله من كتاب: الجهود الدعوية والعلمية للشيخ السعدي، تأليف الدكتور/ عبد الله الرميان، طبع دار المسلم بالرياض، وانظر أيضاً: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٤٢٢) ومشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٢٥٦) وروضة الناظرين (١/ ٢٢٠) والأعلام (٣/ ٣٤٠) وعلماء آل سليم (٢/ ٢٩٥) وأعلام تميم (ص٣٦٥).

البين، وهو المرجع في عقود الأنكحة وتحرير الوثائق خدمة لوجه الله. وكانت أخلاقه أرق من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب ولا يؤاخذ، يتودد إلى البعيد والقريب، ويحيا بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، يبذل للفقير والصغير طاقته ووسعه، ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق، وقلب خالص وسر مكتوم.

من أعماله رحمه الله:

١ـ ساهم في تأسيس مكتبة عنيزة العلمية عام ١٣٥٩هـ.

٢ـ تولى الإمامة والخطابة في الجامع الكبير بعنيزة في شهر رمضان عام ١٣٦١هـ.

٣ـ وأشرف على المعهد العلمي في عنيزة بعد افتتاحه عام ١٣٧٣هـ وصار مشرفاً عليه من الناحية العلمية.

٤ـ قام الشيخ ببناء الجامع على مرحلتين حتى أتم بناءه، وذلك بجمع التبرعات لذلك.

٥ـ كان الشيخ ابن سعدي رحمه الله مرجع بلده وعمدتها في جميع شؤونها، فهو المدرس والواعظ والخطيب وإمام الجامع وكاتب الوثائق ومحرر الأوقاف والوصايا، وعاقد الأنكحة ومفتي البلاد، حسبة لوجه الله تعالى.

أما تراثه العلمي:

فقد ترك مكتبة عامرة زاخرة بأصناف العلوم والمعارف، ساهم بها في

نشر التوحيد والفقه، ويسَّر كثيراً من مسائل الدين، ودعا إلى ربه بلسانه وقلمه، وخلَّف ثروة هائلة ضخمة من المؤلفات المفيدة والقيمة منها:

١ ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن.

٢ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٣ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد. وهو كتابنا هذا الذي تشرفت بتحقيقه.

٤ ـ فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

٥ ـ بهجة قلوب الأبرار.

٦ ـ توضيح الكافية الشافية، شرح نونية ابن القيم.

٧ ـ الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

٨ ـ تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

٩ ـ القواعد والأصول الجامعة.

١٠ ـ الفتاوى السعدية، وغيرها كثير قد تجاوزت ثلاثين مؤلفاً.

تتلمذ على يديه وتلقى عنه العلوم كثير من طلبة العلم، فأقبلوا عليه ينهلون من بحر علمه الفياض، وكان أشهرهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وفضيلة الشيخ علي الحمد الصالحي وفضيلة الشيخ عبد العزيز السلمان وفضيلة الشيخ عبد الله البسام وغيرهم كثير رحم الله الجميع.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله متحدثا عن شيخه عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ثم لما كبرنا بدأنا في القراءة على شيخنا عبد الرحمن بن

ناصر السعدي في قطر الندى وبل الصدى في النحو لابن هشام، وفي زاد المستقنع في اختصار المقنع، وفي العقيدة الواسطية وفي المنتقى وكتب أخرى.

وقال أيضاً: «نعم المنهج الذي كان يسلكه الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ليس له نظير في وقته، إذ كانت عادة الناس فيما سبق أن الطالب يقرأ الكتاب فيعلق عليه الشيخ بما يشاء الله، أما شيخنا فقد كان يشرح الكتاب، ويربط المسائل بعضها ببعض حتى يفهم منه الطلاب كثيراً... ومسلكه مع تلاميذه مسلك الأب المربى لهم بمقاله وفعاله... وله منهج فذ مازلنا ننتفع به حتى الآن...».

وقال رحمه الله: «تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك تأثرت به من ناحية الأخلاق، لأن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، وكان على قدرة في العلم والعبادة يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير، وهو ـ ما شاء الله ـ من أحسن من رأيت أخلاقاً».

وقال أيضاً: «إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه، حيث كان يعامل كلا من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقد الفقراء، فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس. وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة، حيث يوجهها توجيها يحصل به عذر من هفا».

مرضه ووفاته:

أصيب بضغط الدم وتصلب الشرايين عام ١٣٧٣هـ، وعولج ونصح

بالراحة وقلة التفكير، لكنه رجع إلى بلاده وعاود التدريس والإفتاء.

وفي عام ١٣٧٦ من يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة أصيب بإغماء بعد أن ألقى درسه المعتاد، وصلى بالجماعة صلاة العشاء، فنقل إلى المنـزل، فوافته منيته فجر يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة، وصُلِّي عليه بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم في الجامع الكبير بعنيزة، ودفن في مقابر الشهوانية بشمالي عنيزة، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.



كتـــاب التوحيـــد

تأليف

شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب

ت: ١٢٠٦هـ رحمه الله

وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

تأليف

العلاّمة : عبد الرحمن السعدي

ت: ١٣٧٦هـ رحمه الله

تحقيـــق

صبري بن سلامة شاهين



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، وهي تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة.

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً في موضوعات كتاب التوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) قدس الله روحه، فحصل فيه نفع ومعونة للمشتغلين، ومساعدة للمعلمين، لما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح التام. وطبع بمطبعة الإمام ثم نفدت نسخه مع كثرة الطلب عليه. ودعت الحاجة الشديدة إلى إعادة طبعه ونشره، وفي هذه المرة بدا لي أن أقدم أمام ذلك مقدمة مختصرة، تحتوى على مجملات عقائد أهل السنة، في الأصول وتوابعها، فأقول مستعيناً بالله.

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال فيعبدونه وحده، مخلصين له الدين. فيقولون: إن الله هو الخالق البارىء المصور الرزاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور.

وإنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء.

وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر. وأنه على العرش استوى، استواءً يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب.

وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحد عنه طرفة عين، وهو الرءوف الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم.

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر. فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر. فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويعتقدون أنه الحكيم، الذي له الحكمة التامة في شرعه وقدره، فما خلق شيئًا عبثاً، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم.

وأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين.

وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسول الله ﷺ. من الصفات الذاتية: كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق.

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته: كالرحمة والرضا والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد ولا تبيد.

وإن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه لم يزل ولا يزالُ موصوفاً بأنه يفعل ما يريدُ، ويتكلم بما شاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.

ويؤمنون بما جاء به الكتابُ وتواترت به السنة: أنَّ المؤمنين يرون ربهم تعالى عياناً جهرة، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبرُ النعيم واللذة.

وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلدٌ في نار جهنم أبداً، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مُكفرٌ لذنوبهم ولا شفاعة فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها، ولا يبقى في النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها.

وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقًّا، الذي استحق الثواب وسلم من العقاب، ومن انتقص منها شيئاً نقص من إيمانه بقدر ذلك. ولذلك كان الإيمان يزيدُ بالطاعة وفعل الخير، وينقصُ بالمعصية والشر.

ومن أصولهم السعيُ والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة بالله. فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله.

وكذلك يُحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله في الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين أتباع طريقهم.

ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم النبيين، أُرسلَ إلى الإنس والجن بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله، ويستعينوا برزقه على ذلك.

ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بياناً، فيعظمونه ويحبونه، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم، ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه.

ويقدمون قولهُ وهديه على قول كل أحدٍ وهديه.

ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد، فهو أعلى الخلق مقاماً وأعظمهم جاهاً، وأكملهم في كل فضيلة، لم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهم منه.

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسولٍ أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله.

ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد: خيرها وشرها قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمُه، ونفذت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث

خلق للعباد قدرة وإرادةً، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيءٍ منها بل مختارين لها، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته.

ومن أصول أهل السنة أنهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاملين، ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين. ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوىء الأخلاق وأرذلها.

ويعتقدون أن أكمل المؤمنين إيماناً ويقيناً، أحسنهم أعمالاً وأخلاقاً. وأصدقهم أقوالاً، وأهداهم إلى كل خير وفضيلة. وأبعدهم من كل رذيلة.

ويأمرون بالقيام بشرائع الدين، على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها. والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها.

ويرون الجهاد في سبيل الله ماضياً مع البر والفاجِر، وأنه ذروةُ سنام الدين. جهاد العلمِ والحجة. وجهاد السلاحِ. وأنه فرضٌ على كل مسلمٍ أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين. والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها. والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا.

ومن أصولهم النهي عن أذيةِ الخلقِ في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم، والأمرُ بالعدل والإنصاف في جميع المعاملات. والندب إلى

الإحسان والفضل فيها.

ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ خصوصاً الخلفاء الراشدون والعشرةُ المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فيحبون الصحابة ويدينون لله بذلك. وينشرون محاسنهم، ويسكتون عما قيل عن مساوئهم.

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات.

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون، ولها يعتقدون، وإليها يدعون.

* * *

كتاب التوحيد

وقول اللهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)] [الذاريات:٥٦].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٢)]

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (ص٢٣٩): فأخبر سبحانه أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كمال محبته، وهو سبحانه كما أنه يحب أن يعبد يحب أن يحمد ويثنى عليه، ويذكر بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك أثنى على نفسه**» وفي المسند من حديث الأسود بن سريع أنه قال: يا رسول الله إني حمدت ربي بمحامد، فقال: «**إن ربك يحب الحمد**»، فهو يحب نفسه، ومن أجل ذلك يثني على نفسه ويحمد نفسه ويقدس نفسه، ويحب من يحبه ويحمده ويثني عليه.

وقال أيضاً رحمه الله في طريق الهجرتين (ص١٣٥): فأخبر أنه لم يخلق الجن والإنس لحاجة منه إليهم، ولا ليربح عليهم، لكن خلقهم جوداً وإحساناً ليعبدوه، فيربحوا هم عليه كل الأرباح، كقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٤].

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (١/ ٤٩): والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم [عدلوا] عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول وإلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت، ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة ـ وهم الصحابة ومن تبعهم ـ ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد.

[النحل: ٣٦]. وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤] الآية. وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾[1] الآية [النساء: ٣٦]. وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١ -١٥٣].

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «**مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتي عَلَيْها خاتمُهُ فَلْيَقْرأْ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾**[2] الآية [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

وعن معاذِ بنِ جبلٍ - رضي الله عنه - قال: كُنْتُ رَديفَ النَّبيِّ ﷺ على حمارٍ، فَقالَ لِي: «**يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبادِ عَلى اللهِ؟**» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى العِبادِ أَنْ يَعْبُدُوه ولا يُشركُوا بِهِ**

---

(١) عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. فقال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. ....» الخ الحديث. أخرجه الترمذي (رقم ٢٦١٦) وابن ماجه (رقم ٣٩٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥١٣٦).

(٢) تفرد به الترمذي (رقم ٣٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. بينما ضعّف إسناده الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أخرجاهُ في الصحيحين[(١)].

كتاب التوحيد

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره.

ولهذا استغني بها عن الخطبة، أي أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل.

اعلم أن التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال. وإفراده وحده بالعبادة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٢٨) ومسلم (رقم ٣٢).

(٢) إن توحيد الله وعبادته وحده بلا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ١٤٥): وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ

=

وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب ـ جل جلاله ـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله[1].

=

هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأنه قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في فتح رب البرية بتلخيص الحموية من مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٤/ ١٩ ـ ٢١): أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد. وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يلي:

١ـ في الإثبات: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٢ـ في النفي: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى.

=

=

٣ـ فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه: كالجسم والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه. وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل. وقد دل على وجوبها العقل والسمع:

فأما العقل فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع، فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع فمن أدلته قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾، وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾.

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل، لأنهما من الإلحاد. والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل. والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي التكييف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكل ما ثبت لله من الصفات، فإنها صفات كمال يحمد عليها ويثنى بها عليه، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه، فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى على أكمل وجه.

وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمد عليها، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قبيلته لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

=

الثاني: توحيد الربوبية: بأن يعتقد العبدُ أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم، وربَّى خواص خلقه ـ وهم الأنبياء وأتباعهم ـ بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين(١).

الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة: وهو العلم

=

وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. إذا تبين هذا فنقول: مما نفى الله عن نفسه الظلم فالمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل. ونفى عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء، فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه، والله أعلم.

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٧): الأصل الأول: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به المشركون في زمن رسول الله ﷺ ولا أدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩] والآيات على هذا كثيرة من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما، لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد.

فذكر المصنف في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية، وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصاً محمد ﷺ، وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به، وفرضه، وقرّره أعظم تقرير، وبينّه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد. وهو أعظم أوامر الدين، وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٧-٦٨): والأصل الثاني: وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم =

=

الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد: كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم، فدليل الدعاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية [غافر: ٦٠] وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

وأصل العبادة: تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد:١٤] وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الآية [الحج: ٦٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تقريب التدمرية من مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ (٤/ ٢٢٣-٢٢٤): وأما توحيد الألوهية: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة، بأن يعبد وحده ولا يعبد غيره من ملك أو رسول أو نبي أو ولي أو شجر أو حجر أو شمس أو قمر أو غير ذلك، كائناً من كان. ومن أدلته قوله تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨]،

=

فيه مَسائِلُ:

الأولى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ والإِنْس.

الثانية: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لأَنَّ الخُصُومَةَ فِيه[1].

=

وهذا النوع قد أنكره المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات ٣٥، ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص ٤-٦]. ومن أجل إنكارهم إياه قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم وذرياتهم بإذن الله تعالى وأمره، ولم يكن إقرارهم بتوحيد الربوبية مخرجاً لهم عن الشرك ولا عاصماً لدمائهم وأموالهم.

وتحقيق هذا النوع أن يعبد الله وحده لا شريك له بشرعه الذي جاءت به رسله كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] فمن لم يعبد الله تعالى فهو مستكبر غير موحد، ومن عبده وعبد غيره فهو مشرك غير موحد. ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد، حيث جعل لله تعالى شريكاً في التشريع.

(١) إذ لا تصح جميع الطاعات ولا تقبل جميع الأعمال إلا بعد صحة التوحيد وقبوله، وقد ثبت في صحيح مسلم (رقم ٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» والحديث أخرجه البخاري مختصراً (رقم ٩).

قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ٤): وقد نبّه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته.

الثالثة: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ؛ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ؛ فَفِيهِ معنى قولِه: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكافرون: ٣، ٥].

الرابعة: الحِكْمَةُ في إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

الخامسة: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.

السادسة: أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ(١).

السابعة: المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ الله لا تَحْصُلُ إلا بالكُفْرِ بالطَّاغُوتِ؛ فَفِيه مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أَنَّ الطَّاغُوتَ عامٌّ في كُلِّ مَا عُبِدَ من دُونِ الله(٢).

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاَّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».
أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٣) ومسلم (رقم ٢٣٦٥).
قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٨٩): والعَلاَّت بفتح المهملة: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، والعلل: الشرب بعد الشرب. وأولاد العلات: الإخوة من الأب، وأمهاتهم شتى... ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع.
وجاء في حاشية صحيح مسلم (٢/ ١٨٣٧) قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٢): واختار الطبري أن المراد بالجبت والطاغوت جنس من كان يعبد من دون الله، سواء كان صنما أو شيطاناً جنيًّا أو آدميًّا، فيدخل فيه الساحر والكاهن، والله أعلم.
وقال ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٢): والطاغوت اسم لكل ما تعدى حده =

التاسعة: عِظَمُ شأنِ ثَلاثِ الآياتِ المُحْكَمَاتِ في سورةِ الأنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ، أُولاهَا النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ(١).

العاشرة: الآياتُ المُحْكَمَاتُ في سورةِ الإِسْرَاءِ، وفيها ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسألَةً، بَدَأَهَا الله بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾(٢) [الإسراء: ٢٢] وخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

=

وتجاوز طوره.

وقال الفيروزآبادي في القاموس (ص١٣٠٧): والطاغوت: اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله، ومردة أهل الكتاب.

(١) إن الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به سبحانه هو الركن الأول والأعظم من أركان ديننا العظيم، فمن لم يأت بهذا الركن ويحقق هذا الشرط فليس بمسلم، وقد بين رسول الله ﷺ هذا الأمر، وجلّى هذه الحقيقة بقوله الفصل الذي ليس بالهزل، فيُهدم به بنيان قوم جعلوا الإسلام قولاً والإيمان إرثا وانتساباً وإن فعلوا ما يناقض هذا الدين ويهدم هذه الملة، فقال ﷺ «**بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله...**» وفي رواية: «**على أن يعبد الله ويكفر بما دونه...**» أخرجه مسلم (رقم ١٦). وفي رواية: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**» أخرجه مسلم (رقم ٢٣).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٤٥٨): وبالجملة فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله. ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ مذموماً لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهوراً محموداً: كالذي قهر بباطل. وقد يكون مذموماً منصوراً: كالذي قهر وتسلط عليه بباطل، وقد يكون محموداً منصوراً: كالذي تمكن وملك بحق. والمشرك المتعلق بغير الله أردأ الأقسام الأربعة، لا محمود ولا منصور.

الحادية عشرة: آيَةُ سُورَةِ النِّساءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الحُقُوقِ العَشْرَةِ، بَدَأَهَا الله تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التَّنبيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ[١].

الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ حَقِّ الله عَلَيْنا.

الرابعة عشرة: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

الخامسة عشرة: أَنَّ هذِهِ المَسْأَلَةَ لا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحابَةِ[٢].

---

(١) المشروع قبل الموت أن يوصي المسلم أهله وذوي رحمه بتقوى الله وعبادته وطاعته، فهذا هو نهج الأنبياء والمصلحين، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣]. وقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقال رسول الله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» أخرجه البخاري (رقم ٢٧٣٨) ومسلم (رقم ١٦٢٧).

(٢) لا غَرْوَ إذا لم يعلم المسلم أمراً أن يقول: الله أعلم. ولا يدفعه الخجل أو خوف مذمة الجهل أن يقتحم هذا المرتقى الصعب، فيفتي بغير علم أو يتقوّل على الله ما لم يقله. فهذا معاذ بن جبل إمام العلماء سئل فقال: الله ورسوله أعلم. فلم ينقص قدره أو قل شأنه، رضي الله عنه.

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (١/ ٤٤). والمقصود أن الله سبحانه حرّم القول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، والمفتي يخبر عن الله عز وجل وعن دينه، فإن لم يكن خبره مطابقاً لما شرعه كان قائلاً عليه بلا علم.

السادسة عشرة: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ للمَصْلَحَةِ[١].

---

(١) قال جمال الدين القاسمي رحمه الله في قواعد التحديث (ص١٠٠-١٠٢) «بيان الثمرات المجتناة من شجرة الحديث الصحيح المباركة» الثمرة التاسعة: ما كل حديث صحيح تُحدث به العامة، والدليل على ذلك ما رواه الشيخان عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت ردفَ النبيِّ ﷺ على حمار، فقال: «**يا معاذ! هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**» قلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**».
وفي رواية لهما عن أنس؛ أن النبي ﷺ قال لمعاذ، وهو ردفه: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذا يتكلوا**» فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً. وروى البخاري تعليقاً عن علي ـ رضي الله عنه ـ «حدثوا الناس بما يعرفون. أتحبون أن يكذب الله ورسوله. ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم.
قال الحافظ ابن حجر: وممن كره التحدث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما روي عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع في الفتن، ونحوه عن حذيفة. وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العُرَنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب» انتهى. ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ. قال بعضهم: النهي في قوله ﷺ «لا تبشرهم» مخصوص ببعض الناس، وبه احتج البخاري على أن للعالم أن يخص بالعلم قوماً دون قوم، كراهة أن لا يفهموا، وقد
=

=

يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة والمباحية ذريعة إلى ترك التكاليف ورفع الأحكام، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد خراب العقبى. وأين هؤلاء ممن إذا بشروا زادوا جدًّا في العبادة؟! وقد قيل للنبي ﷺ : أتقوم الليل وقد غفر الله لك؟! فقال ﷺ: **«أفلا أكون عبداً شكورا»**؟.

وقال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام (٢/ ١٣-١٤): ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه، فإنه من باب وضع الحكمة غير موضعها، فسامعها إما أن يفهمها على غير وجهها ـ وهو الغالب ـ وهو فتنة تؤدي إلى التكذيب بالحق وإلى العمل بالباطل. وإما لا يفهم منها شيئاً، وهو أسلم، ولكن المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون، بل صار في التحدث بها كالعابث بنعمة الله.

ثم قال رحمه الله تعالى: وخرّج شعبة عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال: إن عليك في علمك حقًّا، كما أن عليك في مالك حقًّا؛ لا تحدث بالعلم غير أهله فتُجهَّل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك. وقد ذكر العلماء هذا المعنى في كتبهم، وبسطوه بسطاً شافياً، والحمد لله. وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً ممن لا يقدر قدر هذا الموضع يزل فيه، فيحدث الناس بما لا تبلغه عقولهم، وهو على خلاف الشرع، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

ولما أخبر أبو هريرة عمر ـ رضي الله عنهما ـ بحديث: **«من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه دخل الجنة»** فقام عمر، وضرب بيده بين ثديي أبي هريرة حتى أسقطه. وقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجع أبو هريرة إلى رسول الله، وأخبره بما فعل عمر. فقال الرسول ﷺ: **«ما حملك على ما فعلت؟»** قال عمر: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون. قال الرسول ﷺ **«خلهم»**.

وقال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١): فيه جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة.

وجاء أيضاً في حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قول النبي ﷺ : **«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرَّم الله عليه النار»** فقال معاذ: يا رسول

=

السابعة عشرة: اسْتِحْبابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثامنة عشرة: الخَوفُ مِن الاتِّكَالِ عَلَى سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ[١].

=

الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟! قال: «إذا يتكلوا» فأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

قال ابن الصلاح رحمه الله: منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم، فيغترّ ويتّكل، وأخبر به ﷺ على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذًا، فسلك معاذ هذا المسلك، فأخبر به الخاصة من رآه أهلاً لذلك.

وقد ثبت أيضاً عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ وهو يعالج سكرات الموت، أنه قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**».

قال القاضي عياض رحمه الله: فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل، ولا فيه حد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول العامة أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه، لاسيما ما يتعلق بأخبار المنافقين والإمارة وتعيين قوم وُصِفُوا بأوصاف غير مستحسنة، وذم آخرين ولعنهم، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا: أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل وخشية الله ـ عز وجل ـ فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمن أن يقصر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر.

انظر أيضاً: كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي بتحقيقي (ص٢٢-٢٧) ط دار القاسم.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب بنعلي هاتين فمن**

=

التاسعة عشرة: قَوْلُ المَسْؤولِ عَمَّا لا يَعْلَم: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ(١).

= لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» فكان أول من لقيت عمر. فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما. من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثدييَّ، فخررت لاستي. فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فاجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري. فقال لي رسول الله ﷺ: «مالك يا أبا هريرة؟» قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدييَّ ضربة خررت لاستي. قال: ارجع. فقال له رسول الله ﷺ: «يا عمر ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم» قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها. فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ: «فخلهم». أخرجه مسلم (رقم٣١).

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١/ ٢٣٨): قال القاضي عياض وغيره من العلماء رحمهم الله: وليس فعل عمر رضي الله عنه ومراجعته النبي ﷺ اعتراضًا عليه وردًّا لأمره، إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم. فرأى عمر رضي الله عنه أن كتم هذا أصلح لهم وأحرى أن لا يتكلوا، وأنه أعود عليهم بالخير من معجل هذه البشرى، فلما عرضه على النبي ﷺ صوَّبه فيه، والله تعالى أعلم.

(١) أما قول: «الله ورسوله أعلم» هذا كان يقال في حياة رسول الله ﷺ. أما بعد وفاته فلا يجوز مثل هذا القول، بل يقتصر على قول: «الله أعلم» حيث إن رسول الله ﷺ لا يعلم شيئاً بعد موته. والدليل على ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب النبي ﷺ فقال: «... ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» أخرجه البخاري (رقم ٤٧٤٠) ومسلم (رقم ٢٨٦٠).

العشرون: جَوَازُ تَخْصِيص بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلمِ دُونَ بَعْضٍ[١].

الحادية والعشرون: تَواضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ[٢].

---

(١) لقد بوَّب الإمام البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا. وقال عليٌّ: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٢٢٥): والمراد بقوله: بما يعرفون. أي يفهمون. وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: ودعوا ما ينكرون. أي يشتبه عليهم فهمه. وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج. وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة. ومثله قول ابن مسعود: ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. رواه مسلم.

(٢) إن التواضع خلق عظيم من أخلاق النبي ﷺ، وشعبة من شعب هذا الدين، ومنزلة من منازل العبودية، فحريٌّ بالمسلم أن يتخلق بهذا الخلق، ويتحلى بهذه الحلية، وقد قال رسول الله ﷺ : «... **وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» أخرجه مسلم (رقم ٢٥٨٨).
وقال ﷺ : «**وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**» أخرجه مسلم (رقم ٢٨٦٥/ ٦٤) واختار رسول الله ﷺ أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون ملكاً نبياً عندما قال له جبريل: «**تواضع لربك يا محمد**». أخرجه أحمد (٢/ ٢٣١) وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (رقم ١٢٥) وأبو يعلى (رقم ٦١٠٥) وابن المبارك في الزهد (رقم ٧٦٦) وسنده صحيح.
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع: وقالت ابنة الصديق عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون أفضل العبادة: التواضع. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: لن يبلغ العبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

=

الثانية والعشرون: جَوَازُ الإِرْدافِ عَلَى الدَّابَّةِ.

الثالثة والعشرون: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ[1] - رَضِيَ الله عَنْهُ -.

الرابعة والعشرون: عِظَمُ شأنِ هذِهِ المَسْأَلَةِ.

* * *

=

وقال رسول الله ﷺ : «انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام - فأوحى الله إلى موسى: أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم في النار. وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة». أخرجه أحمد (٥/١٢٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٧٠).

(١) لقد تبوأ معاذ بن جبل منزلة عظيمة ومكانة مرموقة بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، الأمر الذي جعل رسول الله ﷺ يثني عليه ويذكره بخير، فقد قال فيه: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٨٧٩)، وأخرج أيضاً في الحلية عن عمر بن الخطاب أنه قال: لو استخلفت معاذ بن جبل رضي الله عنه فسألني عنه ربي عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك ﷺ يقول: «إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان معاذ بين أيديهم رتوة بحجر» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩١). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان أمة قانتاً لله حنيفاً. فقيل: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً. فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم. فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله وللرسول، وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعاً لله ولرسوله. وقال أيضاً: إنا كنا نشبه معاذاً بإبراهيم ﷺ. انظر: حلية الأولياء (١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠).

١ ـ بابُ
فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١] [الأنعام:٨٢]

عن عبادةَ بنِ الصامتِ - رضي اللهُ عنه - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»[٢] أخرجاه. ولهما في حديث عِتْبانَ: «**فإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذلِكَ وجْه الله**»[٣].

وَعَنْ أَبِي سعيدٍ الخُدريِّ - رضي اللهُ عنه -: عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**قالَ مُوسى: يَا رَبِّ عَلِّمْني شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَه إلاَّ اللهُ، قال: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ وَعامِرَهُنَّ غَيْرِي، والأَرَضينَ السَّبْعَ في كفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إلاَّ اللهُ في كِفَّةٍ، مَالتْ بِهِنَّ لا**

---

(١) عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾» أخرجه البخاري (رقم ٣٤٢٩) ومسلم (رقم١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٣٥) ومسلم (رقم ٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٤٢٥) ومسلم (رقم ٣٣/ ٢٦٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[1] رواه ابنُ حِبَّانَ والحاكِمُ وصَحَّحه. وللترمذيِّ وحسَّنه عَنْ أنسٍ - رضي اللهُ عنه - سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «قَالَ اللهُ تَعالى: يا ابن آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَني بِقُرابِ الأَرْضِ خَطايَا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً»[2].

بــاب
فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكر هنا فضله هو وآثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شيء من

---

(١) أخرجه أبو يعلى (رقم ١٣٩٣) وابن حبان رقم «رقم ٢٣٢٤ موارد) والحاكم (١/ ٥٢٨-٥٢٩) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧-٣٢٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٨٣٤) والبغوي في شرح السنة (رقم ١٢٧٣). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٥): رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٨): أخرج النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: «قال موسى: يا رب... » وذكر الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٤٠) والدارمي (رقم ٢٧٩١) وأحمد (٥/ ١٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣٣٨) وفي السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٧). وأخرج مسلم بلفظ: «**يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة**» أخرجه مسلم (رقم ٢٦٨٧).

الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

فقول المؤلف رحمه الله: (وما يُكفر من الذنوب) من باب عطف الخاص على العام، فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة. ومن فضائله أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما(١).

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار. إذا كان في القلب منه أدنى مثال حبة خردل(٢). وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

---

(١) ولا أدل على ذلك من حديث الثلاثة الذين طبقت عليهم الصخرة وهم في الغار، ولم يخلصهم من شدة ما هم فيه إلا توسلهم إلى ربهم بخالص أعمالهم وأفضل قرباتهم، وهي أعمال خالصة لله تعالى، مبرأة من الشرك والرياء. قال رسول الله ﷺ: «**بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غارٍ في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها لعله يفرّجها عنكم....**».

فطفق كل منهم يتوسل إلى الله بأخلص ما عمل في حياته، ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون. وهذا الحديث أخرجه البخاري (رقم ٢٣٣٣) ومسلم (رقم ٢٧٤٣).

أما تفريج كربات الآخرة ودفع عقوبتها لا يحصل إلا لمن لقي الله لا يشرك به شيئاً، وإن تعرض لشيء من العقوبة بسبب معاصيه دون الشرك، فمآله إلى رحمة الله ودخول الجنة والسلامة من العقوبة وحصوله على الأمن الكامل في دار الخلد ومجاورة الرب سبحانه وتعالى، نسأل الله من فضله.

(٢) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيخرجون منها قد اسودّوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة، ـ شك مالك ـ**

=

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدي الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه[(١)].

ومن أعظم فضائله أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت[(٢)].

=

فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية». أخرجه البخاري (رقم٢٢) ومسلم (رقم ١٨٣).

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوَّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة. من قال: لا إله إلا الله. خالصاً من قلبه أو نفسه». أخرجه البخاري (رقم٩٩).

(٢) إذا قامت الأقوال والأعمال على ساق التوحيد أثمرت وأينعت وآتت أكلها وعادت بالخير والبركة على صاحبها في الدنيا والآخرة. أما إذا خالطت الأقوال الأعمال شائبة من شرك كدَّرت صفوها وسلبتها خيرها وعادت وبالاً ونكالاً على صاحبها في الدنيا والآخرة، وليس هناك أحسر ولا أخسر على العبد من أن يوافي ربه يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال خالطها الشرك فيجعلها الله هباءً منثوراً.

قال ابن القيم رحمه الله في الرسالة التبوكية (ص٤١): وقد قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] فهذه هي أعماله التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثوراً، لا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلاً. وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة: أن يرى سعيه كله ضائعاً لم ينتفع منه بشيء، وهو أحوج ما كان العامل إلى عمله، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم.

ومن فضائله أنه يسهِّل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلِّيه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات، لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه(١).

ومنها أن التوحيد إذا كمل في القلب حبَّب الله لصاحبه الإيمان، وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين(٢).

ومنها أنه يخفِّف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام. فبحسب تكميل

(١) فمن بركة الطاعة والحسنة ـ والتوحيد أفضل الطاعات والحسنات ـ أن تتلوها طاعات وحسنات، كما أن من شؤم السيئة، ولا أشأم من سيئة الكفر والشرك ـ أن تتلوها سيئات وموبقات، نسأل الله السلامة والعافية.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص٥٧): فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته. فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين: حبه وحسنه الداعي إلى حبه.وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان، وأن ذلك محض فضله ومنته عليهم، حيث لم يكلهم إلى أنفسهم، بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده، فجاد عليهم به فضلاً منه ونعمة، والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح، حكيم بجعله في مواضعه.

العبد للتوحيد والإيمان وتلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة[١].

ومن أعظم فضائله أنه يحرِّر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي[٢].

---

(١) فها هو رسول الله ﷺ أفضل وأعظم من حقق التوحيد والإيمان يتقبل أقدار الله المؤلمة بنفس راضية مرضية مطمئنة. يدخل عليه عبد الله بن مسعود وهو يوعك وعكاً شديداً، فمسه بيده فقال: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً. فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» فقال عبد الله: «ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل». أخرجه البخاري (رقم ٥٦٦٠) ومسلم (رقم ٢٥٧١).

(٢) فها هو بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه يعذبه أمية بن خلف على إسلامه، وهو عبد له، فلم يذل له أو يخضع له، بل كان عزيزًا قويًا شريفًا على أسياده، وهم يعذبونه لكي يكفر بدين الله وبمحمد ﷺ، ولكنه رضي الله عنه كان يلقي بكلمة التوحيد في وجوههم في عزة وإباء: أحد أحد. فلم يستطيعوا أن يذلوه، بل صمد أمامهم حتى أكرمه الله بالصديق الذي أعتقه فرضي الله عنهم أجمعين.

وها هو ربعي بن عامر يدخل على رستم قائد الجيوش الفارسية، وكان على ربعي ثياب صفيقة ومعه سيف وترس وفرس قصيرة، فلم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، فأقبل عليه الحراس وقالوا له: ضع سلاحك. فقال لهم في عزة وإباء: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق. فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن =

ويكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله، لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يُصيِّر القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما في حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة، وفي حديث البطاقة التي فيها: لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر[1]. وذلك لكمال إخلاص قائلها. وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في

=

أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات!! فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفه، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**». أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٣٩) وابن ماجه (رقم ٤٣٠٠) وأحمد (٢/٢١٣) والحاكم (١/٦، ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨٠٩٥).

قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد[(١)].

---

(١) هذا الذي ينبغي أن يفهم من حديث صاحب البطاقة أنه أتى الله بتوحيد وإخلاص وإن تعاظمت ذنوبه لعوارض الضعف البشري بعيداً عن الكفر والشرك والنفاق الأكبر المخرج عن الملة، وإلا فإن عبد الله بن أبي ابن سلول سيكون معه مثل هذه البطاقة، لأنه كان يقول في الدنيا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولكن شتان بين البطاقتين وشتان بين القلبين: قلب مليء بالتوحيد والإخلاص، وقلب منكوس أسود مرباد بالشرك والكفر والنفاق. ظن البعض وفهم من هذا الحديث أن مجرد القول فقط يكفي للنجاة من النار والفوز بالجنان، وقالوا: إن هذا الرجل لم يلق الله إلا بكلمة التوحيد. وهذا ثمرة فهم النصوص مقطعة مجزأة، كل نص على حدة، وضربوا كلام الله وكلام رسوله بعضه بعضا، وخالفوا ما عليه سلف هذه الأمة في مسألة الإيمان من أنها قول وعمل. وماذا يقال في المنافقين الذين كرهوا ما أنزل الله وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ وماذا يقال فيمن يسبون الله ورسوله ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين ليل نهار، وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ وماذا يقال في قول أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان (ص٢٦٤): قال الحميدي: سمعت وكيعاً يقول: أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل. والمرجئة يقولون: الإيمان قول. والجهمية يقولون: الإيمان معرفة. وفي رواية أخرى عنه. وهذا كفر].

وقال أيضاً رحمه الله في كتاب الإيمان (ص١٤٧) وقال سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان: قول وعمل ونية وسنة. لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق. وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/ ٤٠): وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأطنب ابن أبي حاتم =

ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال[(١)].

=

واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين. وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة: وقال الحاكم في مناقب الشافعي: حدثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع؛ قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة ـ رضي الله عنهما ـ عن مذاهب أهل السنة. وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار. وما يعتقدان في ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً. فكان من مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. انظر: عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ص٣٧، ٣٨.

وقال أبو زرعة ـ رحمه الله تعالى: الإيمان عندنا قول وعمل. يزيد وينقص. ومن قال غير ذلك فهو مبتدع مرجئ. المصدر السابق ص١٥٠.

فوجب فهم هذا النص وغيره ضمن أطر الشريعة حتى تأخذ النصوص بحجز بعضها البعض، فلا تتمزق الشريعة أشلاء متناثرة، كل يأخذ بحظه وما تهواه نفسه، ويكون فينا نصيب من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ انظر: التوحيد لابن رجب الحنبلي (ص٨٦-٨٧) بتحقيقي. ط دار القاسم.

(١) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في محاضرات في العقيدة والدعوة (١/ ٧٢-٧٣): حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ

=

فيه مَسائِلُ:

الأولى: سِعَةُ فَضْلِ الله.

الثانية: كَثْرَةُ ثوابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الله.

الثالثة: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذلك للذُّنُوبِ.

الرابعة: تَفْسِيرُ الآيةِ الَّتِي في سُورَةِ الأَنْعَامِ.

الخامسة: تَأَمُّلُ الخَمْسِ اللَّواتِي في حَديثِ عُبَادَةَ.

السادسة: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ؛ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى: قَوْلِ: «لا إلهَ إلاَّ الله»، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المغْرورِينَ[1].

=

غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسفول. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض. وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير التي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى وتؤزه وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق، هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده عن السماء.

(١) فالمغرورون هم الذين اغتروا بقول من يقول: من قال: لا إله إلا الله كان من أهل الجنة، وإن فعل ما فعل من الشركيات والكفريات، وأتى بكل ناقض طالما أنه لم يقصد الكفر ولا الخروج من الدين، وكذلك لم يأت بمقتضيات هذه الكلمة العظيمة، ولم يلتزم بلوازمها ولا شروطها ولا أركانها. كلمة لا أقل ولا أكثر.

أما المخلصون الحريصون على نفع أنفسهم ونفع إخوانهم، والحريصون على تجلية الحق وإيضاحه وتبيينه هم الذين يخوضون غمار المعارك مع أعوان الباطل وجنود إبليس،

=

ومنها أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم.

=

فيرمونهم عن قوس واحدة غير متهيبين ولا وجلين.

قال إمام الدعوة شيخ الإسلام وعلم الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية (٢/ ١١٢-١١٣): اعلم رحمك الله تعالى أن: لا إله إلا الله. هي الكلمة العالية والشريفة الغالية، من استمسك بها فقد سلم، ومن اعتصم بها فقد عصم، قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل**».

والحديث يفصح: أن لا إله إلا الله، لها لفظ ومعنى، ولكن الناس فيها ثلاث فرق: فرقة نطقوا بها وحققوها، وعلموا أن لها معنى وعملوا به، ولها نواقض فاجتنبوها. وفرقة نطقوا بها في الظاهر فزينوا ظواهرهم بالقول واستبطنوا الكفر والشك. وفرقة نطقوا بها ولم يعملوا بمعناها وعملوا بنواقضها، فهؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فالفرقة الأولى هي الناجية، وهم المؤمنون حقًا. والثانية هم المنافقون. والثالثة هم المشركون. فلا إله إلا الله حصن، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب ورموه بحجارة التخريب، فدخل عليهم العدو فسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة، وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» سلبوا معنى: لا إله إلا الله، فبقي معهم لقلقة باللسان وقعقعة بالحروف، وهو ذكر الحصن، لا مع الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق، وذكر الماء لا يغرق، وذكر الخبز لا يشبع، وذكر السيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع.

فإن القول قشر والمعنى لب. والقول صدف والمعنى در، ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟! لا إله إلا الله مع معناها بمنزلة الروح من الجسد، لا ينتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها.

السابعة: التَّنْبِيهُ للشَّرْطِ الَّذِي في حَدِيثِ عِتْبَانَ[١].

الثامنة: كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ للتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لا إلهَ إلاَّ اللهُ».

التاسعة: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

العاشرة: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ كالسَّماواتِ.

الحادية عشرة: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّاراً.

الثانية عشرة: إِثْبَاتُ الصِّفاتِ، خِلاَفاً للأشعرِيَّةِ[٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/ ٥٢٢): وقيل: المراد أن من قالها مخلصاً لا يترك الفرائض، لأن الإخلاص يحمل على أداء اللازم. وتعقب بمنع الملازمة. وقيل: المراد تحريم التخليد أو تحريم دخول النار المعدة للكافرين، لا الطبقة المعدة للعصاة. وقيل: المراد تحريم دخول النار بشرط حصول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيء، والله أعلم.

(٢) قال الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله في محاضرات في العقيدة والدعوة (١/ ٤٠-٤١): وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وإثبات ذلك على وجه يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل هو الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، وما تدين به الفرقة الناجية، وأنكره الجهمية وتلاميذهم، مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة وأئمتها، فنفوا عن الله ما وصف به نفسه من صفات الكمال وما وصفه به رسوله ﷺ زاعمين أن إثبات ذلك يقتضي التشبيه، لأنهم لا يفهمون من صفات الله إلا ما يفهمون من صفات البشر، فشبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً، ولم يدركوا الفارق بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، وأن لله صفات تختص به وتليق بجلاله، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وكما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ =

الثالثة عشرة: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ؛ عَرَفْتَ أَن قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»؛ أَنَّه تَرْكُ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَولَهَا باللِّسانِ(١).

=

ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] فأثبت لنفسه الصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات، فدل على أن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه، كما زعمه الجهمية وأفراخهم من المعطلة ممن لم يقدر الله حق قدره، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وسبحان الله عما يصفون.

(١) قال فضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله في محاضرات في العقيدة والدعوة (١/ ٦٤-٦٥): متى ينفع الإنسان قول: لا إله إلا الله؟

سبق أن قلنا: إن قول: لا إله إلا الله. لابد أن يكون مصحوباً بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي، وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس فاقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق. قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان الذي فيه: «فإن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله» قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار، كهذا الحديث وحديث أنس، قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: «يا معاذ» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلاّ حرَّمه الله على النار» ولمسلم عن عبادة مرفوعاً: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار».

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، وليس فيها أنه يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريباً، وحديث أبي هريرة: أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك. الحديث، وفيه قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة». رواه مسلم.

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث

=

الرابعة عشرة: تَأَمُّلُ الجَمْعِ بَيْنَ كَوْنِ عِيسى ومُحَمَّدٍ عَبْدَيِ الله وَرَسُولَيْهِ.

=

إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصاً من قلبه، مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة. وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إله إلا الله. يدخل النار ثم يخرج منها. وتواترت بأن الله حرّم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله. وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليداً وعادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث أن أحدهم يقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف:٢٣] وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذن لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا يمحى كما يُمحى الليل بالنهار. وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٦٦-٦٧).

الخامسة عشرة: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ[١].

السادسة عشرة: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحاً مِنْهُ.

السابعة عشرة: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيْمانِ بالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثامنة عشرة: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «عَلَى ما كَانَ مِنَ العَمَلِ»[٢].

---

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٢٥-١٢٧): فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: «كن» فكان عيسى بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقاً. وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، لأن الكلمة مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله. كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة. وأما قول الله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١] يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]. يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله. انظر: كتاب الرد على الجهمية من منشورات دار الثبات بالرياض، بتحقيقي.

(٢) يستحيل أن يفهم من كلام النبي ﷺ: «**على ما كان من العمل**» أن يكون هذا العمل شركاً وكفراً كما فهمه كثير ممن ينتسبون لطلب العلم. فقواعد الشرع وأصول الديانة ينفيان أن يكون هذا المقصود من قول النبي ﷺ وعليه فيحمل قوله هذا على ما كان من العمل دون الشرك والكفر.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦/ ٤٧٥): ومعنى قوله: «على ما كان من العمل» أي من صلاح أو فساد، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: «على ما كان من العمل» أي يدخل أهل الجنةِ الجنةَ على حسب أعمال كل منهم في الدرجات.

التاسعة عشرة: مَعْرِفَةُ أَنَّ المِيزانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

العشرون: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ[١].

---

(١) إثبات الوجه لله تعالى من عقائد أهل السنة المقررة لديهم، لا يشك فيها إلا متهوك، ثبت ذلك في كتاب ربنا وهو سبحانه أعلم بنفسه من كل مخلوق، فنثبت له صفة الوجه على ما يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مجموع الفتاوى والرسائل (٤/ ٥٤): مذهب أهل السنة والجماعة أن لله وجهاً حقيقيًّا يليق به موصوفًا بالجلال والإكرام، وقد دل على ثبوته لله الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.. ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**» فوجه الله تعالى من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به.

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في شرح العقيدة الواسطية (ص٥١): الشاهد من الآيتين أن فيهما إثبات الوجه لله سبحانه، وهو من صفاته الذاتية، فهو وجه على حقيقته يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا كما يزعم معطلة الصفات أن الوجه ليس على حقيقته، وإنما المراد به الذات أو الثواب أو الجهة أو غير ذلك، وهذه تأويلات باطلة من وجوه:

منها: أنه جاء عطف الوجه على الذات، كما في الحديث: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم**» والعطف يقتضي المغايرة.

ومنها: أنه أضاف الوجه إلى الذات، فقال: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ووصف الوجه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ فلو كان الوجه هو الذات لكان لفظ الوجه في الآية صلة، ولقال: ذي الجلال والإكرام. فلما قال ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ تبين أنه وصف للوجه لا للذات، وأن الوجه صفة للذات.

=

٢ ـ بَابُ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ قال: كنتُ عندَ سعيدِ بنِ جُبيرٍ فقالَ: أيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أنا ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ في صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَما صَنَعْتَ؟ قُلتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَما حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنا عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»(١). قالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَن انْتَهَى إلى

=

قلت: قد ثبتت صفة الوجه لله عز وجل في أحاديث النبي ﷺ منها: أنه فسر الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: «النظر إلى وجه الله» وفي رواية «النظر إلى وجه الرحمن» أخرجه مسلم (رقم ١٨١) والبيهقي في الاعتقاد (ص١٢٤). وفي دعاء النبي ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق.... » وفيه: «وأسالك برد العيش بعد الموت، وأسالك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك» صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٠١). وفي الحديث «حجابه النور» وفي رواية: «النار. لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما امتد إليه بصره» أخرجه مسلم (رقم١٧٩).

(١) أخرجه مسلم بهذا اللفظ عن بريدة موقوفاً (رقم٢٢٠) وابن ماجه (رقم ٣٥١٣). وأخرجه أبو داود عن عمران (رقم ٣٨٨٤) والترمذي (رقم ٢٠٥٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٤٩٦). وأخرجه البخاري موقوفًا على عمران (رقم ٥٧٠٥). قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (١/ ٤٤٦): الحُمة بالتخفيف: السُّمُّ وقد يشدد، وأنكره الأزهري، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السّم منها يخرج، وأصلها حُمَوٌ أو

=

ما سَمِعَ[١]. وَلَكِنْ حَدَّثنا ابنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ[٢]، والنَّبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ[٣]. إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنهُمْ أُمَّتي، فَقيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ

=

حُمَيٌّ بوزن صُرَد، والهاء فيها عِوَض من الواو المحذوفة أو الياء.

(١) هذه صورة من صور الأدب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم: أن ينتهي الطالب إلى ما سمع، ولا يتعدى، ولا يفعل إلا ما كان له مستند من الشرع. وإلا كان مذموماً خارجاً عن مسمى طالب العلم، فاربأ بنفسك يا طالب العلم أن تكون إمعة أو تابعاً لكل ناعق، تميل مع كل صائح، فلا تستضيء بنور العلم، ولا تركن إلى ركن وثيق، كما ورد في وصية علي بن أبي طالب لكميل بن زياد.

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٢/ ٢٨٣): والرهط من الرجال: ما دون العشرة. وقيل إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الجمع.

(٣) في هذا عزاء وتسلية لأصحاب الدعوات الذين يقل أتباعهم أو يندر المؤمنون بهم وبدعوتهم، فها هو النبي المرسل المؤيد بالوحي والمعجزات يؤمن به الرجل الواحد أو الرجلان أو العدد القليل أو لم يؤمن به أحد، المهم أن الداعي إلى الله يبذل ما عليه ويقدم ما يقدر أن يقدمه لدعوته ودينه دون أن ينظر إلى نتائجه وعدد المتبوعين له، فإن هذا ليس بمقدور أحد من البشر.

كما أن في هذا دليلاً على أن الناجين هم الأقلون عدداً، فلا تغتر بكثرة الهالكين. قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم:٤٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢] وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ»[1]. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بالله شيئاً، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عليهم رَسُولُ اللهِ ﷺ فأَخْبَرُوهُ، فقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لا يَسْترقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يتوكلون**». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: «**ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُم**». فقالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ فقَالَ: ادْعُ اللهَ أن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.فقَالَ: «**سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ**»[2].

باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له.

---

(١) في هذا دليل على أفضلية الأمة الإسلامية، وأنهم أكثر الأمم تابعاً لنبيهم ﷺ، وأن هؤلاء السبعين حققوا التوحيد أكمل وأتم تحقيق، ومن فضل الله على النبي ﷺ وأمته أن جعل مع كل ألف سبعين ألفاً آخرين. قال رسول الله ﷺ: «**فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً**» أخرجه أحمد (١/ ٦) وأبو يعلى (رقم ١١٢) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤١٠) وسنده جيد. وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني، وعن حذيفة عند أحمد، وعن أنس عند البزار، وعن ثوبان عند ابن أبي عاصم. فهذه طرق يقوي بعضها بعضاً. وجاء في أحاديث أخرى أكثر من ذلك، فأخرج الترمذي وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رفعه: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي**».

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٧٠٥) ومسلم (رقم ٢٢٠).

فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره.

فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله، ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوّء المنازل منها.

ومن أخص ما يدل على تحقيقه كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله، بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله، متبعاً فيها رسول الله.

والناس في هذا المقام العظيم درجات ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾، وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوي الخالية من الحقائق، ولا بالحلي العاطلة، وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة الجليلة[١].

---

(١) ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، كما ورد =

فيه مَسائِلُ:

الأولى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ(١).

الثانية: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِه(٢).

الثالثة: ثَنَاؤهُ سُبْحَانهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرابعة: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِياء بِسَلاَمَتِهِم مِنَ الشِّرْكِ.

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها والله أعلم.

=

ذلك عن الحسن البصري رحمه الله تعالى، انظر: اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي (رقم ٥٦) بتحقيق الألباني. ولا يثبت مرفوعاً إلى النبي ﷺ، بل قال الألباني عن المرفوع في ضعيف الجامع (رقم ٤٨٨٠): موضوع.

(١) من الناس من يحقق التوحيد الخالص الكامل التام فيكون من أولئك السبعين ألف، ومنهم من يناقش ويحاسب حتى إذا قرره الله بذنوبه غفرها له وسترها عليه، ومنهم من يدخل النار حتى إذا تطهر من ذنوبه خرج ودخل الجنة، ومنهم من يمكث في النار أحقاباً، ومنهم من يكون آخر من يخرج من النار فيدخل الجنة.

(٢) تحقيق التوحيد يكون بإخلاص الأقوال والأعمال لله عز وجل، فلا يلتفتون بقلوبهم إلى أحد سوى الله، لا يطلبون الرقية وإن كانت مباحة حتى لا تتعلق قلوبهم بغير الله تعالى، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على ربهم، وإيمانهم بما قضاه الله لهم وقدره عليهم، فيؤمنون بذلك إيماناً تاماً كاملاً، ويفوضون أمورهم لله ويفزعون إليه وحده، ولا تلتفت قلوبهم إلى أحد سوى الله عز وجل.

الخامسة: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

السادسة: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوكُّلُ.

السابعة: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ بِمَعْرِفَتِهِم أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذلِكَ إِلاَّ بِعَمَلٍ.

الثامنة: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ.

التاسعة: فَضِيْلَةُ هذِهِ الأُمَّةِ بِالكمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ.

العاشرة: فَضِيْلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى.

الحادية عشرة: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ، عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ.

الثانية عشرة: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثالثة عشرة: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجابَ للأَنْبِيَاءِ.

الرابعة عشرة: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

الخامسة عشرة: ثَمَرَةُ هذا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدمُ الزُّهْدِ في القِلَّةِ[1].

---

(١) فلا تستوحش بقلة السالكين ولا تغتر بكثرة الهالكين.

قال ابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين (ص١٢٤): وصف الله سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده، فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣] وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من الأقلين. فقال: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤] فقال عمر: صدقت.

السادسة عشرة: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ والحُمَةِ[١].

السابعة عشرة: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلكِنْ كَذَا وَكَذَا»، فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لا يُخَالِفُ الثَّانِي[٢].

الثامنة عشرة: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِما لَيْسَ فِيهِ[٣].

التاسعة عشرة: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّةِ.

العشرون: فَضِيْلَةُ عُكَّاشَةَ[٤].

الحادية والعشرون: اسْتِعْمَالُ المَعارِيْضِ.

---

(١) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص١٠٤): قال الخطابي: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى أو أولى من رقية العين والحمة. وقد رَقى النبي ﷺ ورُقِيَ.

(٢) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص١٠٤): قوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع أي: من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن، لأنه أدى ما وجب وعمل بما بلغه من العلم، بخلاف من يعمل بجهل أو لا يعمل بما يعلم، فإنه مسيء آثم.

(٣) هذا هو دأب الصالحين وديدن المتقين، لا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، بل إذا فعلوا اجتهدوا في إخفاء ما يقومون به، حرصاً منهم على أن تكون أعمالهم خالصة لوجه الله لا يريدون رياءً ولا سمعة. قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨].

(٤) عكاشة بن محصن: بضم العين وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها، كان من السابقين إلى الإسلام هاجر وشهد بدراً، ويكفي في مناقبه أن شهد له النبي ﷺ بالجنة، قتل شهيداً في قتال أهل الردة رضي الله عنه وأرضاه.

الثانية والعشرون: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ[1].

* * *

(١) لقد كان خلقه ﷺ القرآن كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها. وتمثل حسن خلقه هنا في كونه ﷺ لم يقل للرجل الذي قال بعد عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم. لم يقل له: لست منهم. بل قال: سبقك بها عكاشة. أدباً مع هذا الرجل وحسن خلق وتلطفاً به.

٣ ـ بـــابُ
الخَوفِ مِنَ الشِّرْكِ(١)

وقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٢) [النساء: ٤٨، ١١٦]. وقالَ الخليلُ عليه السلامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ

---

(١) لأنه أعظم الذنوب، فكل ما عدا الشرك داخل تحت المشيئة، أما الشرك فهو أقبح الذنوب وأظلم الظلم، لذا ينبغي على المسلم أن يخافه ويحذره ويتقيه ويدرؤه عن نفسه بكل وسيلة مخافة أن يقع فيه وهو لا يعلم، فلا بد من معرفة أسبابه وأنواعه وخطورته، فرضي الله عن حذيفة بن اليمان حين قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. أخرجه البخاري (رقم ٣٦٠٦) ومسلم (رقم ١٨٤٧). ورضي الله عن الفاروق حين قال: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية.

(٢) قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧): قولكم: إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدَّد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه. فالله سبحانه هو الذي شدَّد في ذلك، لقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ في موضعين من كتابه، وقال على لسان المسيح لبني إسرائيل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك، ولما سئل ﷺ أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك».

=

ٱلْأَصْنَامَ﴾[1] [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديثِ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[2]. وَعَنِ ابنِ مسعودٍ - رضي اللهُ عنه -: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»[3] «رواهُ البخاريُّ». ولمسلمٍ عَنْ جابِرٍ رَضي اللهُ عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**»[4].

=

إذا عرف ذلك تعين على كل مكلف معرفة حد الشرك وحقيقته، لا سيما في هذه الأزمنة التي غلب فيها الجهل بهذا الأمر العظيم.

(١) قال إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم! نعم ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم إمام الحنفاء وأبي الأنبياء، الذي كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. يخاف على نفسه وعلى ولده من بعده، فيدعو الله ويتوسل إليه أن يجنبه عبادة الأصنام، وهو الذي كسَّر الأصنام، وهو الذي ابتلاه ربه بكلمات فأتمهن، وهو الذي وفى ﷺ، يخشى من الشرك، ويحذر من الوقوع فيه، فيبتهل إلى ربه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) والطبراني في معجمه الكبير (٢/٢٥٣ رقم ٤٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٤٤٩٧) ولفظه عن عبد الله قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**» وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.

(٤) أخرجه مسلم (رقم ٩٣/ ١٥٢).

باب الخوف من الشرك

الشركُ في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيدَ كلَّ المنافاة، وهو نوعان: شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي(١).

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٩ - ٧٠) وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٦٦١ - ٦٦٢): واعلم أن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي. والدليل على الشرك الأكبر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] وهو أربعة أنواع:

* النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦].

* النوع الثاني: شرك النية، وهي الإرادة والقصد، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

* النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]
=

فأما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرق في هذا بين أن يسمى تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلاً، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر، لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك: كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة: كالحلف بغير الله ويسير

=

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو طاعة العلماء والعباد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم. فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

* النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

* والنوع الثاني: شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

* والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

الرياء ونحو ذلك[١].

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقًّا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/٦٠٨): وأما الشرك فنوعان: أكبر وأصغر. فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٨﴾ مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده، خالق كل شيء ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون إذا انتقص أحد معبودهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقص حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حرب، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم، وقد شاهدنا هذا منهم نحن وغيرنا. وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه: إن قام، وإن قعد، وإن عثر، وإن مرض، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على لسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصنام سواء.

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثانية: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ.

الثالثة: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الرابعة: أَنَّهُ أخوفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الخامسة: قُرْبُ الجَنَّةِ والنَّارِ.

السادسة: الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

السابعة: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ[1].

الثامنة: المَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ ولِبَنِيْهِ وِقَايَةَ عِبادَةِ الأَصْنَامِ.

التاسعة: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

العاشرة: فِيهِ تَفْسِيرُ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله»[2]، كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»**. أخرجه مسلم (رقم٩٣/ ١٥١). والموجبتان: أي الخصلة التي توجب لصاحبها دخول الجنة. والخصلة التي توجب لصاحبها دخول النار.

(٢) قال الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ٨٤٣ ـ ٨٤٤): فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا عز وجل، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد، وهو مولانا عز وجل، وأتى بـ (إلا) لقصر حقيقة الإله على الله تعالى، وهو الواجب الوجود، المستحق للعبادة، المعبود بحق، وهو الخالق المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل من عداه.
=

الحادية عشرة: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

التعلق بالله تألهاً وإنابة وخوفاً ورجاءً وطمعاً وقصداً لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة[1]، فإن الإخلاص بطبيعته

=

انتهى كلام صاحب فاكهة القلوب ملخصاً.

ومنه قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية. هذا الخطاب يعم أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وثنا ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا نبيًّا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن جرير: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله. وقال عكرمة: يعني يسجد بعضنا لبعض، انتهى ملخصاً.

فقد علمت أن معنى لا إله إلا الله: أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً. وشيئاً أنكر النكرات، وأن لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله.

ومنه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ الآية فالكلمة الطيبة كلمة التوحيد، وأصلها تصديق بالجنان، وفرعها إقرار باللسان، وأكلها عمل بالأركان. انتهى من تفسير الحنفي، وفي تفسير البغوي: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ لا إله إلا الله. انتهى، ثم ذكر نحو ما تقدم.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٢/ ١٧) فإخلاص العبادة لله هو أصل دين الإسلام، الذي بعث الله به

=

يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه.

* * *

=

رسله وأنزل به كتبه، وهو سر الخلق، قال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾. وقال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فإسلام الوجه هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة كلها لله، وهذا هو توحيد الإلهية وتوحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة، ومن كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي: لا إله إلا الله، فإن مدلولها نفي الشرك وإنكاره والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده، وهو معنى قول الخليل: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ وهذا هو الإخلاص الذي هو دين الله الذي لم يرض لعباده ديناً سواه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ والدين هو العبادة. وقد فسره أبو جعفر ابن جرير في تفسيره بالدعاء، وهو بعض أفراد العبادة.

٤ـ بابُ
الدُّعَاءِ إلى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله

وقولِ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1] [يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابنِ عَباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ معاذاً إلى اليمنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إله إلاَّ الله**» وفي رواية: «**إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَإِنْ هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ.**

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤): قال الفراء وجماعة: (ومن اتبعني) معطوف على الضمير في (أدعو) يعني: ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وهذا قول الكلبي قال: حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة. ويقوي هذا القول من وجوه كثيرة. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: (إلى الله) ثم يبتدىء بقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولاهما أنه يدعو إلى الله. وفي الثانية بأنه وأتباعه على بصيرة. والقولان متلازمان، فلا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه. وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[١]. أخرجاه.

ولهُمَا عَنْ سهلِ بنِ سعدٍ - رضي اللهُ عنهُ -: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ يومَ خيبرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحوا غَدَوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى الإِسْلامِ. وأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[٢].

يَدُوكُونَ أي: يَخُوضُونَ.

باب
الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأبواب في غاية المناسبة، فإنه ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقق به ظاهراً وباطناً، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه.

ثم ذكر في هذا الباب تكميله لغيره بالدعـوة إلى شهادة (أن لا إله إلا الله)،

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٩٥) ومسلم (رقم١٩).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٤٢) ومسلم (رقم ٢٤٠٦).

فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره، وهذا هو طريق جميع الأنبياء، فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ، لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها. وكان يدعو بنفسه، ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء، لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد(١).

---

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٣): اعلم رحمك الله أن فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم. فيجب على العبد أن يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم، وتحريم الشرك والإيمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الأمهات والجدات، فأعظم مراتب الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله. ومعنى ذلك أن يشهد العبد أن الإلهية كلها لله، ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي، بل هي حق لله على عباده، والإلهية، هي التي تسمى في زماننا السر. والإله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يدعى ويستغاث به، فإذا عرف الإنسان أن هذا الذي يعتقده كثيرون في السماء وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة هو العبادة التي لا تصلح إلا لله، وأن من اعتقد في نبي من الأنبياء فقد كفر وجعله مع الله إلها آخر، فهذا لم يكن قد شهد أن لا إله إلا الله.

ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك وأخاك. فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله. وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور، وأمثال ذلك، =

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن. وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء[(١)].

وإذا كانت الدعوة إلى الله وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضاً على كل أحد، كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم. وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين.

=

فهذا كاذب في قول: لا إله إلا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت.

وهذا كلام يسير يحتاج إلى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الإسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ، والبحث عما قال العلماء في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ويجتهد في تعلم ما علمه الله رسوله وما علمه الرسول لأمته من التوحيد. ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة، والله أعلم.

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٤).

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلى الله طَرِيقُ مَن اتَّبَعَ رَسُولَ الله ﷺ.

الثانية: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلاصِ؛ لأنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلى الحَقِّ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ[1].

الثالثة: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الرابعة: مِنْ دَلاَئِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ كَوْنُهُ تنزيهًا لله تَعَالَى عَنِ المَسَبَّةِ.

الخامسة: أَنَّ مِنْ قُبحِ الشركِ كونَه مُسبّةً لله .

السادسة: وهي من أَهمِّها. إِبعادُ المسلمِ عنِ المشركينَ لِئلاَّ يصيرَ منهم ، ولو لم يُشْرِكْ.

السابعة: كونُ التَّوحيد أَوَّلَ واجِبٍ .

الثامنة: أَنَّه يُبدأُ بِهِ قبلَ كُلِّ شيءٍ ، حتَّى الصلاةُ .

التاسعة: أَنَّ مَعْنَى: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ». مَعْنَى شَهَادةِ أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ الله[2].

---

(١) فيجب على الداعي إلى الله أن يتفطن لهذا الأمر، وألا يدع النفس تسترسل في حظوظها، وتشتهي الدعوة والعمل في حقل الداعين طالما الناس مقبلين عليه وعلى سماع مواعظه، فإذا زهد فيه الناس أو قل عددهم حوله كسل وتثاقل وترك الدعوة. أو إذا رأى الناس يدعون حلقات ذكره ويتحلقون حول غيره حزن لذلك وأصابه الهم والغم، ليس ذلك لانصراف الناس عن الحق، ولكن لانصراف الناس عنه هو شخصيًّا.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٢٨٩): اعلم أيها المصنف أن دين الله القويم وصراطه المستقيم إنما يتبين بمعرفة أمور ثلاثة هي مدار دين الإسلام، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والأحكام، ومتى اختلت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام.

=

العاشرة: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ وَهُوَ لا يَعْرِفُهَا، أَو يَعْرِفُها وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا.

الحادية عشرة: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيْمِ بالتَّدْرِيجِ.

الثانية عشرة: البَدَاءَةُ بالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ[1].

=

* الأمر الأول: أن تعلم أن أصل دين الإسلام وأساسه وعماد الإيمان ورأسه هو توحيد الله تعالى، الذي بعث به المرسلين، وأنزل به كتابه المحكم المبين، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ وهذا هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله. فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع. وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الإسلامية والداعي إلى الملة الحنيفية: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه. والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله. والمخالف في ذلك أنواع ذكرها رحمه الله تعالى.

وهذا التوحيد له أركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم، لا يحصل الإسلام الحقيقي على الكمال والتمام إلا بالقيام بها علماً وعملاً. وله نواقض ومبطلات تنافي ذلك التوحيد.

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١): هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امرأً نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة وناراً، وأن الله عز وجل جعل لكل منهما أعمالاً، فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى، فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعاً، ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال. ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله، فمن مات على ذلك فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والإحسان،

=

الثالثة عشرة: مَصْرِفُ الزَّكَاة.

الرابعة عشرة: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ.

الخامسة عشرة: النَّهْيُ عَن كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.

السادسة عشرة: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ.

السابعة عشرة: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لاَ تُحْجَبُ.

الثامنة عشرة: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالوَبَاءِ[1].

=

فهو من أهل النار قطعاً: كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله تعالى الله عن ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [إبراهيم:١٨]. فرحم الله امرأ تنبه لهذا الأمر العظيم قبل أن يعض الظالم على يديه، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧].

(١) وذلك يستلزم الصبر والمصابرة، وفي ذلك مواساة وتسلية للداعين إلى الله إذا تعرضوا لشيء من ذلك، فلا يقنط العاملون في حقل الدعوة إذا تعرضوا للبلاء، أو أصابتهم اللأواء، أو هجمت عليهم جيوش الهموم، أو غزتهم عساكر الغموم، ففي الصبر منجاة، وفي المصابرة ملهاة، وعند الله الأجر الجميل والثواب العميم. أسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله عن الصبر في مدارج السالكين (٢/ ١٥٢): قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا. وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر. وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً: ثم ذكرها، ثم قال: ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا

=

التاسعة عشرة: قَوْلُهُ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...» إلخ: عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّةِ.

العشرون: تَفْلُهُ فِي عَيْنيهِ عَلَمٌ مِن أَعْلامِهَا أيضاً.

الحادية والعشرون: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثانية والعشرون: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.

الثالثة والعشرون: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ، لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.

الرابعة والعشرون: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ» .

الخامسة والعشرون: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ القِتَالِ.

السادسة والعشرون: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذلِكَ وَقُوتِلُوا.

السابعة والعشرون: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ؛ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ».

الثامنة والعشرون: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلاَمِ.

التاسعة والعشرون: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .

الثلاثون: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

=

إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر. وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أنه ضياء». وقال: «مَن تصبر يصبره الله» وفي الحديث الصحيح «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».

٥ ـ باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(١) [الإسراء: ٥٧].
وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٣-٨٤): فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] وفي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.
[الإسراء: ٥٦، ٥٧]. فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول، فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول، فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها:هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول. لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢/ ٣٥): قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء:٥٧] فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب والخوف والرجاء.

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١) [التوبة: ٣١]. وقولِهِ تَعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾(٢) [البقرة:١٦٥].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٢/ ١٧١): قال أبو عمر: قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه، فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] روي عن حذيفة وغيره قال: لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم. وقال عدي بن حاتم: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب، فقال: «يا عدي ألق هذا الوثن من عنقك». وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: فقلت: يا رسول الله إنا لم نتخذهم أرباباً، قال: «بلى، أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم». قلت: الحديث في المسند والترمذي مطولاً. وقال أبو البختري في قوله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية. وقال وكيع: ثنا سفيان والأعمش جميعاً، عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي ثابت عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ فقال: لا، ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه.

قلت: الحديث أخرجه الترمذي (رقم ٣٠٩٥) وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (ص٢٦٦): قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] وأصح =

وفي الصحيحِ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وكفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ»[١].

وشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مَا بَعْدَها مِنَ الأَبْوابِ.

=

القولين أن المعنى: يحبونهم كما يحبون الله. وسووا بين الله وبين أندادهم في الحب. ثم نفى ذلك عن المؤمنين، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ فإن الذين آمنوا أخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره، وأما المشركون فلم يخلصوه لله.

وقال أيضاً رحمه الله في إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٢): فإذا عرف ذلك فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له، فتحرك محب الرحمن ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان.ومحب المتاع والأثمان ومحب الأوثان والصلبان ومحب النسوان والمردان ومحب الأوطان ومحب الإخوان، فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء، فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره. ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان، لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولا عند تلاوة القرآن حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره.

ثم قال رحمه الله في كتاب الجواب الكافي (ص٢٥٤): وأصل الشرك بالله الإشراك مع الله في المحبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به من دونه، فيتخذ الأنداد من دونه يحبهم كحب الله. وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم. وقيل: بل المعنى أنهم أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لله، فإنهم وإن أحبوا الله لكن لما أشركوا بينه وبين أندادهم في المحبة، ضعفت محبتهم لله، والموحدون لله لما خلصت محبتهم له، كانت أشد من محبة أولئك، والعدل برب العالمين، والتسوية بينه وبين الأنداد هو في هذه المحبة.

(١) أخرجه مسلم (رقم٢٣).

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين. وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها، كما قال المصنف رحمه الله.

وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلى أمرين: نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهية ولا شيئاً من العبودية أحد من الخلق: لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

الأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده، حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة الدين لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصداً بذلك وجه الله، وطالباً رضوانه وثوابه[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦): اعلم أن لا إله إلا الله كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وقد سماها الله تعالى كلمة التقوى والعروة الوثقى، وهي كلمة الإخلاص التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه. ومضمونها نفي الإلهية عما سوى الله وإخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ وقال بعدها: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ
=

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله، أو يطيعهم كطاعة الله، أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى: لا إله إلا الله أشد المنافاة.

وبيّن المصنف رحمه الله أن من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**». فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبين بذلك أنه لابد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولابد من القيام بعبودية الله وحده: طاعة لله

= أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وقال تعالى لخاتم رسله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ الآية وقال ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ وقد تفاوت الناس في هذه الكلمة بحسب ما لهم علماً وعملاً، فمنهم من يقولها وهو يجهل مدلولها ومقتضاها، فلا يعرف الإله المنفي بأداة النفي ولا الإلهية المثبتة لله تعالى، فهذا لا تنفعه بلا ريب. تجده يأتي بما يناقضها وهو لا يدري.

واعلم أن لها شروطاً ثقالاً، منها: العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكملاتها. ومن شروطها: الصدق واليقين وإرادة وجه الله والكفر بما يعبد من دون الله، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ قال ابن جرير: يعلمون حقيقة ما شهدوا به. وقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وصحت الأحاديث عن النبي ﷺ بذكر هذه الشروط كلها، ومن لم يكن كذلك لم تنفعه لا إله إلا الله. لأن القول بلا علم هباء. قال شيخ الإسلام: ومن فقد الدليل ضل السبيل.

وانقياداً، ولابد من البراءة مما ينافي ذلك عقداً وقولاً وفعلاً.

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم(١)، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية، والله أعلم.

---

(١) جاء في كتاب مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٣٨-٣٩): المسألة الحادية عشرة: رجل دخل هذا الدين وأحبه، ولكن لا يعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم. أو قال: أنا مسلم، ولكن لا أقدر أن أكفر أهل لا إله إلا الله ولو لم يعرفوا معناها. ورجل دخل هذا الدين وأحبه، ولكن يقول: لا أتعرض للقباب، وأعلم أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن ما أتعرضها؟

الجواب: أن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به، وعمل بموجبه، وصدق الرسول ﷺ فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به، وآمن به وبما جاء به. فمن قال: لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال: لا أتعرض أهل لا إله إلا الله. ولو فعلوا الكفر والشرك، وعادوا دين الله، أو قال: لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلماً، بل هو ممن قال الله فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ الآيات والله أعلم.

فيه مسائل:

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا، وَهِيَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبَيَّنَهَا بِأُمُور وَاضِحَةٍ.

مِنْهَا آيَةُ الإِسْرَاءِ: بَيَّن فِيها الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ؛ فَفِيهَا: بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

وَمِنْهَا آيَةُ بَرَاءَة: بَيَّنَ فِيها أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلاَّ بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلهاً وَاحِداً، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي غَيْرِ المَعْصِيَةِ، لاَ دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

وَمِنْهَا قَوْلُ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِلْكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُودِينَ ربَّهُ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هذِهِ البَرَاءَةَ وَهذِهِ المُوَالاَةَ: هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا اللهُ: فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وَمِنْهَا آيَةُ البَقَرَةِ فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ الله فِيهِم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]؛ ذَكَر أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ الله، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الله حُبّاً عَظِيماً وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلاَمِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ؟! وَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلاَّ النِّدَّ وَحْدَهُ؟ وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ؟!

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَفَر بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**»، وَهذا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى «**لا إله إلاَّ اللهُ**»، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِماً لِلدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلاَ مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلاَ الإِقْرَارَ بِذلِكَ، بَلْ وَلاَ كَونَهُ لا يَدْعُو إِلاَّ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لا يَحْرُمُ مَالُهُ

وَدَمُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلى ذلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله. فَإِنْ شَكَّ أَو تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ ولاَ دَمُهُ. فَيا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا! وَيا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلمُنَازِعِ[1]!

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٢٩٨-٢٩٩): ومن زعم أن المراد من لا إله إلا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والأنبياء من دين الله، واتبع غير سبيل المؤمنين، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ فأجابوه بقولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية. علموا - على كفرهم وضلالهم - أنه لم يرد منهم مجرد الإقرار، وإنما أراد منهم الاتباع والعمل وترك عبادة الأصنام، وأخبر تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ وذكر تعالى عنهم في جوابهم له: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ علموا أنه أراد منهم قصد العبادة على الله وترك عبادة من سوى الله، وهذا هو مضمون لا إله إلا الله ومعناها.

ولما دعا الخليل عليه السلام أباه إلى التوحيد بقوله: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝﴾ أجابه بقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ عرف أنه أراد ترك عبادة ما سوى الله والرغبة عن ذلك إلى إخلاص العبادة لله وحده، ثم قال الخليل عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ فذكر مضمون لا إله إلا الله ولازمها، كما ذكر تعالى مثل ذلك عن أهل الكهف في قولهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝﴾ وقال تعالى عن صاحب ياسين: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝﴾

=

٦ ـ بابٌ

مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ ونحوِهِمَا لرفعِ البلاءِ أو دفعِه

وقولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1] [الزمر: ٣٨].

=

وتأمل أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ عرفوا ـ وهم كفار ـ أن مطلوب النبي ﷺ من قولهم: لا إله إلا الله أنه ترك عبادة الأوثان، فيا له من بيان ما أوضحه.

والمقصود أن القرآن من أوله إلى آخره يحقق معنى لا إله إلا الله بنفي الشرك وتوابعه، ويقرر الإخلاص وشرائعه. لكن لما اشتملت غربة الدين بهجوم المفسدين وقع الريب والشك بعد اليقين، وانتقض أكثر عرى الإسلام، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. ومما انتقض من عراة الحب في الله والبغض في الله، والمعاداة والموالاة لله. كما في الحديث الصحيح: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» وأنت ترى حال الكثير: حبه لهواه وبغضه لهواه، فلا يسكن إلا إلى ما يلائم طبعه ويوافق هواه، ولو غره وأغواه، فتأمل تجد هذا هو الواقع، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والحاصل أن كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه، فهو من مدلول كلمة الإخلاص، فدلالتها على الدين كله: إما مطابقة وإما تضمناً وإما التزاماً، يقرر ذلك أن الله سماها كلمة التقوى، والتقوى أن يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي وإخلاص العبادة لله واتباع أمره على ما شرعه.

(١) عن ابن عباس مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت**

=

عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً في يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «ما هَذِهِ ؟» قَالَ: منَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْناً؛ فَإِنَّك لَوْ مِتَّ وَهيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً» رواه أحمدُ بسندٍ لا بأسَ بِهِ[1].

ولَهُ عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ مرفوعاً. «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتمَّ اللهُ لَهُ. وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[2] وفي روايةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[3].

ولابن أبي حاتمٍ عَنْ حذيفةَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى فَقَطَعَهُ

=

فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الأقلام، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

أخرجه الترمذي (رقم٢٥١٦) وأحمد في المسند (١/٣٠٧) والحاكم (٣/٥٤٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٥٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/٤٤٥) وابن ماجه (رقم ٣٥٣١) وابن حبان (رقم ١٤١٠، ١٤١١) والحاكم (٤/٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في معجمه الكبير (١٨/١٧٢ رقم ٣٩١) وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله بينما ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة (رقم ١٠٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/١٥٤) والحاكم (٤/٢١٦، ٢١٧) وصححه ووافقه الذهبي. وابن حبان (رقم ١٤١٣) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (رقم ١٢٦٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/١٥٦) والحاكم (٤/٢١٧، ٢١٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم٤٩٢).

وَتَلا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] [يوسف: ١٠٦].

باب
من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب. وتفصيل القول فيها: إنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً أو قدراً.

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه. والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء: إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته، ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق (١/ ٣٦٦): فأثبت لهم إيماناً مع الشرك، وهذا الإيمان وإن لم يؤثر في إخراجهم من النار، كما أثر إيمان أهل التوحيد، بل كانوا معه خالدين فيها بشركهم وكفرهم، فإن النار إنما سعَّرها عليهم الشرك والظلم.

ثم قال رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٢٨٢): أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله لم ينفعه ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسل وباليوم الآخر، فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر. وشركهم قسمان: شرك خفي، وشرك جلي. فالخفي قد يغفر، وأما الجلي فلا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب.

إذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك، لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية، حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية، حيث تألّه لذلك، وعلّق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًا ولا قدريًا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي. وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة، التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك، فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه، التي يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجياً لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها، ليتم إيمانه وتوحيده، فإنه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضاً نقص في العقل، حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها: دينيها ودنيويها، والله أعلم.

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: التَّغْلِيظُ فِي لبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثانية: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ. فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.

الثالثة: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ.

الرابعة: أَنَّهَا لا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ، بَلْ تَضُرُّ لِقَوْلِهِ: «لاَ تَزِيْدُكَ إِلاَّ وَهْناً».

الخامسة: الإِنْكَارُ بِالتَغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذلِكَ.

السادسة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ.

السابعة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثامنة: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذلِكَ.

التاسعة: تِلاَوَةُ حُذَيفَةَ الآيَة دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بالآياتِ الَّتي فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ، كَمَا ذَكَر ابنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ.

العاشرة: أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعِ مِنَ العَيْنِ مِنْ ذلِكَ.

الحادية عشرة: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ؛ أَيْ: تَرَكَ اللهُ لَهُ.

* * *

٧ـ باب
ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائم

فِي الصَّحيحِ عَنْ أَبي بَشِيرِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه كانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: «أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ»[١]. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي اللهُ عنه - قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَي والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ» رواه أحمدُ وأبو داودَ[٢]. وَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عُكَيْمٍ مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ» رواه أحمدُ والترمذيُّ[٣].

«التَّمائِمُ»: شَيءٌ يُعَلَّقُ عَلى الأَوْلادِ مِنَ العَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كانَ المُعَلَّقُ مِنَ القُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيه بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيه، وَيَجْعَلهُ مِنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ. مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

«والرُّقي»: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ منها الدليلُ مَا خَلا مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٠٠٥) ومسلم (رقم ٢١١٥).

(٢) عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إن عبد الله رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟! قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (رقم ٣٥٣٠) والحاكم (٤/ ٤١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١) والترمذي (رقم ٢٠٧٢) والحاكم (٤/ ٢١٦) والبيهقي (٩/ ٣٥١) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٥ رقم ٩٦٠).

الشِّرْكِ. فقد رخَّصَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ من العَيْنِ والحُمَةِ[١].

«والتِّوَلَةُ»: شيءٌ يصنعونَهُ يزعُمُونَ أَنَّه يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إلى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلى امْرأتِهِ[٢].

وَرَوَى أَحمدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ - رضي اللهُ عنه - قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ: أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً أَوْ اسْتَنْجى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ محمَّداً بَرِيءٌ مِنْه»[٣].

وَعَنْ سعيدِ بنِ جُبيرٍ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَـمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعدْلِ رَقَبَةٍ[٤]. رواه

---

(١) عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» أخرجه مسلم (رقم٢٢٠٠). وعن أنس رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة. أخرجه مسلم (رقم٢١٩٦) (٥٨).

(٢) التِّوَلَةُ: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٠/ ١٩٦) التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كان ذلك من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله.

وقال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (١/ ٢٠٠): التِّولة بكسر التاء وفتح الواو: ما يحبب المرأة في زوجها من السحر وغيره، جعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٨، ١٠٩) وأبو دواد (رقم ٣٦) والنسائي (٨/ ١٣٥ رقم٥٠٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩١٠).

(٤) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص١٧٣): هذا عند أهل العلم له حكم الرفع، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي، فيكون على هذا مرسلاً، لأن سعيداً تابعي، وفيه فضل قطع التمائم، لأنها من الشرك.

وكيعٌ. ولَهُ عَنْ إبراهيمَ قال: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمائِمَ كُلَّهَا مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ[١].

باب
ما جاء في الرقى والتمائم

أما التمائم فهي تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط كما تقدم.

فمنها ما هو شرك أكبر، كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، كما سيأتي إن شاء الله.

ومنها ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها، لأنها تجر إلى الشرك[٢].

وأما التعاليق التي فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها، لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها، ويدخل بها المواضع القذرة[٣].

---

(١) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص١٧٤): مراده بذلك أصحاب عبد الله ابن مسعود: كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم من أصحاب ابن مسعود، وهم من سادات التابعين، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم، كما بيَّن ذلك الحفاظ: كالعراقي وغيره.

(٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن كثيراً من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوه. أخرجه وكيع.

(٣) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص١٦٧-١٦٨): اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء =

أما الرقى ففيها تفصيل:

فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة في حق الراقي، لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع[١]، وهي جائزة في حق المرقي، إلا إنه لا ينبغي له أن يبتدىء بطلبها، فإن من كمال تؤكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحداً من الخلق: لا رقية ولا غيرها[٢]، بل ينبغي إذا سأل أحداً أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة، التي لا يوفق

=

الله وصفاته. فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم الشركية، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته، فكالرقية بذلك. قلت: وهو ظاهر اختيار ابن القيم. وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم رضي الله عنهم، وبه قال جماعة من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه، فإن ظاهره العموم، ولم يفرق بين التي في القرآن وغيرها... ثم قال: هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته، فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها، بل والتعلق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب الخير مما هو شرك محض.

(١) لحديث النبي ﷺ أنه قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» أخرجه مسلم (رقم ٢١٩٩).

(٢) لحديث النبي ﷺ أنه قال: «من يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة» أخرجه أبو داود (رقم ١٦٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٦٠٤).

فيه مسائل:

الأولى : تَفْسِيرُ الرُّقَى والتَّمائِمِ.

الثانية : تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثالثة : أَنَّ هذِهِ الثَّلاَثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.

الرابعة : أَنَّ الرُّقْيَةَ بالكَلاَمِ الحَقِّ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذلِكَ.

الخامسة : أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ القُرآنِ فَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذلِكَ أَم لا؟

السادسة : أَنَّ تَعْلِيقَ الأوْتَارِ عَلَى الدَّوابِّ مِنَ العَيْنِ مِنْ ذلِكَ.

السابعة : الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَراً.

الثامنة : فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التاسعة : أَنَّ كَلاَمَ إِبْرَاهِيمَ لا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاختِلاَفِ، لأنَّ مُرَادَهُ أَصحَابُ عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ.

للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمَّل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره، فهذا هو الشرك الأكبر، لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

فافهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها.

* * *

٨ ـ بَابٌ
مَنْ تبرَّكَ بشجرةٍ أَوْ حجر ونحوِهِمَا

وقَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

عَنْ أَبي واقِدٍ اللَّيْثِيِّ قالَ: خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إلى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ، يُقالُ لها ذَاتُ أَنْواطٍ. فَمَرَرْنا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنا ذَاتَ أَنْواطٍ كَما لَهُمْ ذَاتُ أَنْواطٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إنَّها السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ كَما قَالَتْ بَنُو إِسْرائيلَ لِموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم» رواه الترمذيُّ وصحَّحهُ[(١)].

باب
من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

أي فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذي (رقم ٢١٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٦٠١).

لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر، كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام في كل شيء، حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة(١).

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته؛ فهو روح التعبد(٢).

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له.

فالفرق بين الأمرين: كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد(٣)، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد.

---

(١) فالتمسح بها والتبرك بها ذريعة إلى الشرك، لذا كان النهي والتشديد عن ذلك، قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها. نقلاً من تيسير العزيز الحميد (ص١٨٣).

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من يستلمه بحق**». أخرجه الترمذي (رقم ٩٦٧) وابن ماجه (رقم٢٩٤٤). وعن عبد الله بن عبيد بن عمير أن رجلاً قال: يا أبا عبد الرحمن ما أراك تستلم إلا هذين الركنين؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن مسحهما يحطان الخطيئة...**». أخرجه النسائي (٥/ ٢٢١ رقم ٢٩١٧).

(٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أخرجه الترمذي (رقم ٢٩٦٩، ٣٣٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٤٠٧).

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ النَّجْمِ.

الثانية: مَعْرِفَةُ صورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثالثة: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرابعة: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى الله بِذلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الخامسة: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هذا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بالجَهْلِ.

السادسة: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالوَعدِ بالمَغْفِرَةِ ما لَيْسَ لِغَيْرِهِم.

السابعة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُم، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِم بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم» فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهذِهِ الثَّلاثِ.

الثامنة: الأَمْرُ الكَبِيرُ - وَهُوَ المَقْصُودُ - أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: «اجْعَلْ لَنَّا إِلهاً».

التاسعة: أَنَّ نَفْيَ هذا مِنْ مَعْنَى «لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ» مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولئِكَ.

العاشرة: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيا، وَهُوْ لا يَحْلِفُ إِلاَّ لِمَصْلَحَةٍ.

الحادية عشرة: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهذا[1].

---

(١) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله في مجموعة الرسائل المسائل النجدية (٣/ ١٧): وكذلك الشرك شركان: شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الأصغر: كشرك الرياء، وقال تعالى في الشرك الأكبر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
=

الثانية عشرة: قَوْلُهُم: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»؛ فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لاَ يَجْهَلُ ذلِكَ.
الثالثة عشرة: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ؛ خِلاَفاً لِمَنْ كَرِهَهُ.
الرابعة عشرة: سَدُّ الذَّرَائعِ(١).

= ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ الآية، وقال في شرك الرياء ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ وفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار، ومن هذا قوله ﷺ : «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل».

(١) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٣٣): إن سد الذرائع وقطع الوسائل من أكبر أصول الدين وقواعده، وقد رتب العلماء على هذه القاعدة من الأحكام الدينية تحليلاً وتحريماً ما لا يحصى كثرة، ولا يخفى على أهل العلم والخبرة، وقد ترجم شيخ الدعوة النجدية قدّس الله روحه لهذه القاعدة في كتاب التوحيد فقال: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك. وساق بعض هذه القاعدة. وقد قرأت علينا في الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية أن اعتبار هذا من محاسن مذهب مالك. قال: ومذهب أحمد قريب منه في ذلك، ولو أفتينا بتحريم السفر رعاية لهذا الأصل فقط وسدًّا لذرائعه المفضية لكنا قد أخذنا بأصل أصيل ومذهب جليل.

إن قاعدة سد الذرائع أخذها العلماء من أدلة الكتاب والسنة: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٣/ ١٤٩): قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم ـ لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه، بل كالتصريح على المنع من الجائز، لئلا يكون سبباً في فعل ما لا يجوز. ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن =

الخامسة عشرة: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ[١].

السادسة عشرة: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السابعة عشرة: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثامنة عشرة: أَنَّ هذاَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التاسعة عشرة: أَنَّ كَلَّ ما ذَمَّ الله بِهِ اليَهُودَ والنَّصَارَى فِي القُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ قَالَهُ لَنَا[٢].

=

العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه.. ويسب أمه فيسب أمه» أخرجه البخاري رقم (٥٩٧٣) ومسلم (رقم ٩٠).

(١) للمصنف رحمه الله رسالة قيمة جمع فيها المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية سماها «مسائل الجاهلية» اعتنى بها علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي رحمه الله، ثم أخرجها الدكتور يوسف السعيد في مجلدين كبيرين، فأفاد وأجاد شكر الله له، وأخيراً شرحها فضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان شرحاً ميسراً جيداً فجزاه الله خيراً.

فحريٌّ بطالب النجاة أن يدرس هذه المسائل حتى يكون على بينة من الأخطار التي تحدق به، وحتى لا يتلبس بخلق من أخلاق الجاهلية أو بمسلك من مسالكهم، فيعرض نفسه لغضب الجبار عز وجل. ورحم الله حذيفة بن اليمان ورضي الله عنه حين قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني فأقع فيه. وها هو الصحابي الجليل أبو ذر يصدر منه تصرف أساء فيه لبلال رضي الله عنهما، فقال له رسول الله ﷺ : «إنك امرؤ فيك جاهلية» أخرجه البخاري (رقم٣٠) ومسلم (رقم ١٦٦١).

(٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن» أخرجه البخاري (رقم ٣٤٥٦) ومسلم (رقم ٢٦٦٩).

=

العشرون: أَنَّهُ مُقَرَّرٌ عِنْدَهُم أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ: أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ؟»؛ فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّك؟»؛ فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وأَمَّا «ما دِينُكَ؟»؛ فَمِنْ قَوْلِهِم: «اجْعَلْ لَنَا إِلهاً...» إِلى آخِرِهِ.

الحادية والعشرون: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسنَّةِ المُشْرِكِينَ.

الثانية والعشرون: أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لا يُؤمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ، لِقَوْلِهِم: «ونَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

* * *

=

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا وهديا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟ انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١١٠).

٩- باب
ما جاء في الذَّبحِ لغَيْرِ الله

وقولِ اللهِ تعالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) ﴾ [الكوثر: ٢].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضِي اللهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بأربعِ كلماتٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، ولَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْه، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوى مُحْدِثاً، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**»[1]. رواه مسلمٌ.

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شهابٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ**» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَرَّ رَجُلانِ عَلى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقرِّبَ لَهُ شَيْئاً. قَالُوا لأَحَدِهما: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّب. قَالُوا له: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُباباً فخَلَّوا سَبِيلَهُ فَدَخَل النَّارَ، وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّبْ. قَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئاً دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ**»[2]. رواه أحمد.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٩٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص٢٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٣) عن سلمان موقوفًا وهو صحيح.

باب
ما جاء في الذبح لغير الله

أي أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه.

وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام[١]. فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله.

فكل اعتقاد أوقول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع: فصرفه لله وحده

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦): وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال: هذه ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله. فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه. لأجل المسيح والزهرة، أو قصد به ذلك أولى. وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله ولم يحرم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم. بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله. وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً به إليه لحرم، وإن قال فيه باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان.

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الثانية: تَفْسيرُ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢].

الثالثة: البَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله.

الرابعة: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْه، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ[1].

الخامسة: لَعْنُ مَنْ آوى مُحْدِثاً، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئاً يَجِبُ فِيهِ حَقُّ الله؛ فَيَلْتَجِىءُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذلِكَ.

السادسة: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأرْضِ، وَهيَ المَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ مِنَ الأَرْضِ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر.

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر، الذي لا يشذ عنه شيء.

كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يُتطرَّق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها، والله المستعان.

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه». أخرجه البخاري (رقم ٥٩٧٣) ومسلم (رقم ٩٠).

السابعة: الفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ المُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ المَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ العُمُومِ[١].

الثامنة: هذِهِ القِصَّةُ العَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.

التاسعة: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصاً مِنْ شَرِّهِمْ.

العاشرة: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، كَيْفَ صَبَرَ ذلِكَ عَلَى القَتْلِ وَلَمْ يُوَافِقهُمْ عَلَى طَلَبِهِمْ، مَع كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلاَّ العَمَلَ الظَّاهِرَ؟!

الحادية عشرة: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِراً؛ لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

الثانية عشرة: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ»[٢].

الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ القَلْبِ هُوَ المَقْصُودُ الأَعْظَمُ، حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الأَصْنَامِ.

---

(١) قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله في النبذة الشريفة النفيسة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ٦٤٠ ـ ٦٤١): فينبغي للطالب أن يفهم الفرق بين المعين وغيره، فنكفر من دان بغير الإسلام جملة ولا نحكم على معين بالنار، ونلعن الظالمين جملة ولا نخص معينًا بلعنة، كما قد ورد في الأحاديث من لعن السارق وشارب الخمر، فنلعن من لعنه رسول الله ﷺ جملةولا نخص شخصًا بلعنة.

يبين ذلك أن رسول الله ﷺ لعن شارب الخمر جملة، ولما جلد رجلاً قد شرب الخمر قال رجل من القول: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله». الحديث أخرجه البخاري (رقم ٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٨٨).

١٠ - بابٌ
لا يُذبحُ للهِ بمكانٍ يُذبحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ.

وَقَوْلُ اللهِ تَعالى: ﴿لَا نَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلاً بِبُوانَةَ فسأَلَ النَّبيُّ ﷺ فقالَ: «هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لا. قَالَ: «فَهَلْ كانَ فيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لا. فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[(١)] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا.

باب
لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذي قبله: فالذي قبله من المقاصد، وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرباً إليها وشركاً بالله، قد صار مشعراً

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٣١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٥٥١).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٣٧) أصل هذا الحديث في الصحيحين. وهذا الإسناد على شرط الصحيحين، وإسناده كلهم ثقات مشاهير، وهو متصل بلا عنعنة.

من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم[١].

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم؛ إبعاداً للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم[٢]، حتى إنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٠-٨٢): إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك إلا أن يمنعه مانع... ثم قال: ومنها أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهراً بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية. هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم. فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له.

(٢) لحديث النبي ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٠) وأبو داود (رقم ٤٠٣١) قال ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٣١): هذا حديث جيد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٠٢٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢): وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن =

النهي، التي يسجد المشركون فيها لغير الله، خوفاً من التشبه المحذور[٢].

فيه مسائل:

الأولى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثانية: أَنَّ المَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الأَرْضِ، وَكَذلِكَ الطَّاعَةُ[١].

=

عمرو أنه قال: من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة. فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً لها كان حكمه كذلك.

(١) لما كان القصد من بناء مسجد قباء طاعة الله وتقواه وعبادته كانت هذه الطاعة بركة على هذه البقعة، فصارت من أفضل بقاع الأرض، وصارت الصلاة فيه تعدل في الأجر والثواب أجر عمرة كما ثبت عن رسول الله ﷺ بقوله: «**الصلاة في مسجد قباء كعمرة**» أخرجه الترمذي (رقم ٣٢٤) وحسنه بينما صحح الحديث الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٨٧٢).
ولما كان القصد من بناء مسجد الضرار الكفر والتفريق بين المؤمنين كانت هذه المعصية شؤماً على هذه البقعة، فأمر الله نبيه ألا يقم فيه أبداً، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بهدم هذا المسجد وتحريقه.

(٢) عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، فإنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان... وفيه قال رسول الله ﷺ : «**صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع فإنها تطلع ـ حين تطلع ـ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار...**.» أخرجه مسلم (رقم ٨٣٢).

الثالثة: رَدُّ المَسْأَلَةِ المُشْكلَةِ إِلَى المَسْأَلَةِ البيِّنَةِ؛ لِيَزُوْلَ الإِشْكَالُ[1].

الرابعة: اسْتِفْصَالُ المُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذلِكَ.

الخامسة: أَنَّ تَخْصِيصَ البُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لا بأْسَ بِهِ إِذَا خَلاَ مِنَ المَوَانِعِ.

السادسة: المَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

السابعة: المَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِم وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

الثامنة: أَنَّهُ لا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ البُقْعَةِ؛ لأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ.

التاسعة: الحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ المُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَلَو لَمْ يَقْصِدْهُ.

العاشرة: لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ.

الحادية عشرة: لاَ نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لا يَمْلِكُ.

* * *

(١) ومنه رد المجمل إلى المبين، ورد المقيد إلى المطلق، ورد الخاص إلى العام، لكي يزول الإشكال ويرتفع الاضطراب.

١١- بابٌ
مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغيرِ اللهِ.

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧].

وقولُهُ تَعالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وَفي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يعصِيَ الله فَلا يَعْصِه»**[1].

فيه مسائل:

الأولى: وُجُوبُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.

الثانية: إِذَا ثَبتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لله؛ فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الثالثة: أَنَّ نَذْرَ المَعْصِيَةِ لا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِهِ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٩٦) ومسلم (رقم ١٦٤١) ولفظه: «سبحان الله بئسما جزتها. نذرت لله إن نجّاها الله عليها لتنحرنها. لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد».

١٢ ـ بابٌ
مِنَ الشِّرْكِ الاستِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي اللهُ عنها قَالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِه ذَلِكَ»[١] رواه مسلمٌ.

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ الجِنِّ.

الثانية: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثالثة: الاستِدْلاَلُ عَلَى ذلِكَ بِالحَدِيثِ، لأَنَّ العُلَماءَ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِماتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ قَالُوا: لأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِالمَخْلُوقِ شِرْكٌ[٢].

الرابعة: فَضِيلَةُ هذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ.

الخامسة: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ؛ مِنْ كَفِّ شَرٍّ، أَو جَلْبِ نَفْعٍ؛ لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٧٠٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/٣٣٦): وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك.

١٣ـ بابٌ
مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بغيرِ اللهِ أَوْ يدعو غيرهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس ١٠٦ – ١٠٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ الآيتان [الأحقاف: ٥، ٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وَرَوَى الطَّبَرانيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُم: قُومُوا بِنا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ هذا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِالله**»[1].

باب
من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

متى فهمت الضابط السابق في حد الشرك الأكبر، وهو أن: (من صرف

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وأحمد (٥/ ٣١٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك). فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والى المصنف بيانها.

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة.

فإن العبادة: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة) والنذر من ذلك. وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة، أن الدعاء عام في كل الأحوال. والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين[1]، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم، أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضاً من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة، لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم.

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٧١٣) والترمذي (رقم ٣٤٢٩) وابن ماجه (رقم ٣٨٢٩) والحاكم (١/ ٤٩٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٦٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يسأل الله غضب الله عليه» أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٦٥٨، ٦٥٩) والترمذي (رقم ٣٤٣٣، ٣٤٣٤) وابن ماجه (رقم ٣٨٢٧) والحاكم (١/ ٤٩١) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٤).

فيه مسائل:

الأولى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الاسْتِغاثَةِ مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ.

الثانية: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أَنَّ هذَا هُوَ الشِّرْكُ الأكْبَرُ.

الرابعة: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ؛ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

الخامسة: تَفْسيرُ الآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا.

السادسة: كَوْنُ ذلِكَ لا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَع كَونِهِ كُفْراً.

السابعة: تَفْسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ.

الثامنة: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لا يَنْبَغِي إِلاَّ مِنَ الله؛ كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لا تُطْلَبُ إِلاَّ مِنْهُ.

التاسعة: تَفْسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ.

العاشرة: أَنَّهُ لا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ الله.

الحادية عشرة: أَنَّهُ غَافِلٌ عَن دُعَاءِ الدَّاعِي لا يَدْرِي عَنْهُ.

الثانية عشرة: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الثالثة عشرة: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ.

الرابعة عشرة: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ العِبَادَةِ.

الخامسة عشرة: أَنَّ هذِهِ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

السادسة عشرة: تَفْسِيرُ الآيَةِ الخَامِسَةِ.

السابعة عشرة: الأَمْرُ العَجِيبُ، وَهُوَ إِقْرارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ بِأَنَّهُ لا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلاَّ اللهُ، وَلأَجْلِ هذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

الثامنة عشرة: حِمَايَةُ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَالتَّأَدُّبُ مَعَ الله.

١٤ـ باب

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر: ١٣].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَتُهُ فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1] [آل عمران: ١٢٨]. وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي اللهُ عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وَفُلاناً»، بَعْدَ مَا يَقُول: «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2] وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فنزلتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3]. وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (ص٧٧٢) كتاب المغازي، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، ومسلم (رقم ١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٠٦٩).

(٣) أخرجه البخاري مرسلاً عن سالم بن عبد الله بن عمر (رقم ٤٠٧٠)، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٣٦٦): والثلاثة الذين سماهم قد أسلموا يوم الفتح، ولعل هذا هو السر في نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِيني مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً»[1].

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره[2]. فتقدم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في

---

(١) أخرجه البخاري (رقم (٢٧٥٣) ومسلم (رقم ٢٠٦).

(٢) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩): فالدين كله توحيد، لأن التوحيد إفراد الله بالعبادة، وأن تعبده مخلصاً له الدين، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيدخل في ذلك قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح، وترك المحظورات والمنهيات داخل في مسمى العبادة، ولذلك فسر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾ بالتوحيد في العبادة، لأن الخصومة فيه، إذا عرفت هذا عرفت أن على العبد أن يخلص أقواله وأعماله لله، وأن من صرف شيئاً من ذلك لغيره فقد أشرك في عبادة ربه ونقص توحيده وإيمانه، وربما زال بالكلية إذا اقتضى شركه التسوية بربه والعدل به وتضمن مسبة لله، فإن الشرك الأكبر يتضمنها، ولهذا ينزه الرب تعالى ويقدس نفسه عن ذلك الشرك في مواضع من كتابه كقوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨﴾ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾.

الكمال المطلق من جميع الوجوه، هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد، معرفة أوصاف المخلوقين، ومن عُبِدَ مع الله، فإن جميع ما يُعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها، كلهم فقراء إلى الله، عاجزون، ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأي برهان أعظم من هذا البرهان؟ الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري، كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق، ودليل كذلك على بطلان الشرك[1].

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحماً؛ فكيف بغيره؟ فتبًّا لمن أشرك بالله، وساوى به أحداً من المخلوقين، لقد سُلِبَ عقله بعدما سُلِبَ دينه.

فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٥): فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محبًّا له عابدًا له وحده.

وقال أيضاً رحمه الله في (١٦/ ٣٤٤): والفطرة تستلزم معرفة الله ومحبته وتخصيصه بأنه أحب الأشياء إلى العبد وهو التوحيد. وهو معنى قول: لا إله إلا الله، كما جاء مفسراً «كل مولود يولد على هذه الملة». وروي «على ملة الإسلام».

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ.

الثانية: قِصَّةُ أُحُدٍ.

الثالثة: قُنُوتُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلاَةِ.

الرابعة: أَنَّ المَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

الخامسة: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الكُفَّارِ؛ مِنْهَا: شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَمِنْهَا: التَّمْثِيلُ بِالقَتْلَى مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِم.

السادسة: أَنْزَلَ الله عَلَيْهِ فِي ذلِكَ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

السابعة: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.

التاسعة: تَسْمِيَةُ المَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِم.

العاشرة: لَعْنُ المُعَيَّنِ فِي القُنُوتِ.

الحادية عشرة: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾

الثانية عشرة: جِدُّهُ ﷺ فِي هذَا الأَمْرِ؛ بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بسببِهِ إِلَى الجُنُونِ، وَكَذلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الآنَ.

إلى ربها في كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفاً ورجاءً وطمعاً، والله أعلم.

الثالثة عشرة: قَوْلُهُ ﷺ للأبْعَدِ وَالأَقْرَبِ: «**لا أُغْني عَنْكَ مِنَ الله شَيْئاً**»، حَتَّى قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لاَ أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً**» فَإِذَا صَرَّحَ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ بِأَنَّهُ لا يُغْنِي شَيْئاً عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وَآمَنَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ لا يَقُولُ إِلا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ اليَوْمَ؛ تَبَيَّنَ لَهُ التَّوْحِيدُ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.

* * *

١٥ - باب

قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[1] [سبأ: ٢٣].

في الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عنْهُ - عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنحتِهَا خُضعاناً لِقَوْلِهِ كأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩): وروى أبو داود من حديث علي بن الحسين بن أشكاب، حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل، فإذا جاءهم جبرائيل فزّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبرائيل ماذا قال ربك؟ قال: الحق. فينادون: الحق، الحق»** وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات. وقد فسر الصحابة هذه الآية بما يوافق هذا الحديث الصحيح. فقال أبو بكر ابن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن كامل ابن خلف، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبي حدثنا عمي حدثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] قال: لما أوحى الجبار جل جلاله إلى محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي، فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم فسألوا عما قال الله تعالى؟ قالوا: الحق، علموا أن الله تعالى لا يقول إلا حقًا، وأنه منجز ما وعد. قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا، فلما سمعوه خروا سجّدًا فلما رفعوا رؤوسهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير. وهذا إسناد معروف، يروي به ابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وغيرهم التفسير وغيره عن ابن عباس، وهو إسناد متداول بين أهل العلم وهم ثقات.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، ومُسْتَرِقُ السَّمْعِ هكذا بعضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ». وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَها وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ: «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيها إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيها الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيها عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقيها، وَرُبَّما أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مائَةَ كذْبَةٍ. فيُقالُ: أَلَيْسَ قَدْ قال لنا يومَ كَذَا وَكَذا: كَذا وَكَذا. فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ»[1].

وَعَنِ النَّواسِ بْنِ سمْعَانَ - رضي اللهُ عنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَواتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ» أَوْ قَالَ: «رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفاً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَواتِ صَعِقُوا وخَرُّوا لِلهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَه جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بما أَرَادَ. ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلائِكَةِ. كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُها مَاذا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهم مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ. فَيَنْتَهي جِبْرِيلُ بِالْوَحْي إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٧٠١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (رقم ٢٠٦) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥١٥) والآجري في الشريعة (٣/ ١٠٩٢ رقم ٦٦٨) وضعفه الألباني في ظلال الجنة، وكذا محقق الشريعة.

باب
قول الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

وهذا أيضاً برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمته، التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده، خاضعة له، خائفة منه، فمن كان هذا شأنه فهو الرب، الذي لا يستحق العبادة أو الحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحق شيء. فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله، لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى، الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في فتح المجيد (ص٢١٤): والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الملك العظيم الذي تصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزه وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعاً إليه ونفوذ قدره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يجعل له شريكا من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم، فكيف يجعل المربوب ربا والعبد معبوداً؟! أين ذهبت عقول المشركين؟! سبحان الله عما يشركون. وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [القيامة: ٩٣ ـ ٩٥] فإذا كان الجميع عبيداً، فلم يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع؟ ثم قد أرسل =

فيه مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسيرُ الآيَةِ.

الثانية: مَا فِيهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصاً مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي قِيلَ: إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ القَلْبِ.

الثالثة: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذلِكَ.

الخامسة: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ: «قَالَ كَذا وَكَذَا».

السادسة: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ.

السابعة: أَنَّهُ يَقُولُ لأهلِ السَّمَاوَاتِ كُلِّهُمْ لأَنَّهُم يَسْأَلُونَهُ.

الثامنة: أَنَّ الغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ كُلَّهُمْ.

التاسعة: ارْتِجَافُ السَّمَاوَاتِ لِكَلامِ اللهِ.

العاشرة: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ.

الحادية عشرة: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.

الثانية عشرة: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِم بَعضاً.

الثالثة عشرة: إِرْسَالُ الشِّهَابِ.

الرابعة عشرة: أَنَّهُ تَارةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَن يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.

=

رسله من أولهم إلى آخرهم، تزجرهم عن ذلك الشرك، وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله. انتهى من شرح سنن ابن ماجه.

الخامسة عشرة: كَوْنُ الكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الأَحْيَانِ.

السادسة عشرة: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مائَةَ كِذْبَةٍ.

السابعة عشرة: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلاَّ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ.

الثامنة عشرة: قَبُولُ النُّفُوسِ للبَاطِلِ! كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلاَ يَعْتَبِرُونَ بِمائَةٍ؟!

التاسعة عشرة: كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا.

العشرون: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلاَفاً للأَشْعَرِيَّةِ المُعَطِّلَةِ.

الحادية والعشرون: التَّصْرِيحُ أَنَّ تِلْكَ الرجْفَةَ والغَشْيَ خَوْفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وجلَّ.

الثانية والعشرون: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ لله سُجَّداً.

* * *

١٦- بَابُ الشَّفَاعةِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]. وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قَالَ أَبو العَبَّاسِ(١): نَفَى اللهُ عَمَّا سِواه كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْره مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ منه، أَوْ يكونَ عَوْناً لله، ولم يَبْقَ إلاَّ الشفاعةُ، فبيَّنَ أنها لا تَنْفَعُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتي يَظُنُّها المُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا القُرآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسجُدُ لِربِّهِ ويَحْمَدُهُ لاَ يَبْدَأُ بِالشَّفاعَةِ أَوَّلاً. ثُمَّ يُقالُ له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ(٢). وقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ له ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ الناسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِله إلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»(٣).

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٤٧٦) ومسلم (رقم ١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٩٩).

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإِخْلاَصِ بِإِذْنِ الله، وَلاَ تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلاَصِ فَيَغْفِرُ لهم بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ، لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتي نَفَاها القُرآنُ مَا كَانَ فيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ في مَوَاضِعَ. وَقَدْ بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أَنَّهَا لاَ تَكُونُ إلاَّ لأَهلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلاصِ[1].

انتهى كلامُهُ.

باب الشفاعة

إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب، لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقامات عالية ندعوهم؛ ليقربونا إلى الله زلفى، وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد، وتخضع له المخلوقات بأسرها ـ بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

---

(١) وقد قال رسول الله ﷺ : «وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لايشرك بالله شيئًا» أخرجه مسلم (رقم ١٩٩) وقال أيضاً ﷺ: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا» أخرجه الترمذي (رقم ٢٤٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٦).

فأبطل الله هذا الزعم، وبيَّن أن الشفاعة كلها له، كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له.

فبيَّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّن أن الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه: إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة، وأنها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفواً عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد ﷺ، فيها، وأناله المقام المحمود.

فهذا ما دل عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول في الشفاعة[1]. وقد ذكر

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١): قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر ٤٣ ـ ٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، وهو الله وحده فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٥١] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو =

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ الآيَاتِ.

الثانية: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المَنْفِيَّةِ.

المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع، وهو كاف شاف. فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب، يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأنه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالاً، ولا مشاركة، ولا معاونة، ولا مظاهرة، ولا من الشفاعة شيء، وإنما ذلك كله لله وحده، فتعيَّن أن يكون المعبود وحده.

=

لمن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣] وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بإذنه.

والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك، فإنه لا شريك له، والتي أثبتها: شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له، ويقول: اشفع في فلان. ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاء قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه. فأما المشرك فإنه لا يرتضيه ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علّقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

الثالثة: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المُثْبَتَةِ(١).

---

(١) قال الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٣/ ٦٥ - ٦٦): وأما الفرق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية فهي مسألة عظيمة، ومن لم يعرفها لم يعرف حقيقة التوحيد والشرك. والشيخ رحمه الله عقد لها باباً في كتاب التوحيد، فقال: باب الشفاعة. وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ ثم ساق الآيات وعقبه بكلام الشيخ تقي الدين، فأنت راجع الباب وأمعن النظر فيه يتبين لك حقيقة الشفاعة والفرق بين ما أثبته القرآن وما نفاه، وإذا تأمل الإنسان القرآن وجد فيه آيات كثيرة في نفي الشفاعة وآيات كثيرة في إثباتها، فالآيات التي فيها نفي الشفاعة مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فمثل قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

فالشفاعة التي نفاها القرآن هي التي يطلبها المشركون من غير الله، فيأتون إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبر من يظنونه من الأولياء والصالحين، فيستغيث به ويتشفع به إلى الله، لظنه أنه إذا فعل ذلك شفع له عند الله وقضى الله حاجته، سواء أراد حاجة دنيوية أو حاجة أخروية كما حكاه تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لكن كان الكفار الأولون يتشفعون بهم في قضاء الحاجات الدنيوية. وأما المعاد فكانوا مكذبين به جاحدين له. وأما المشركون اليوم فيطلبون من غير الله حوائج الدنيا والآخرة، ويتقربون بذلك إلى الله، ويستدلون عليه بالأدلة الباطلة، وحجتهم داحضة عند

=

الرابعة: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى وَهِيَ المَقَامُ المَحْمُودُ.

الخامسة: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ؛ شَفَعَ.

السادسة: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟

السابعة: أَنَّهَا لا تكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بالله(١).

الثامنة: بَيَانُ حَقِيقَتِها.

* * *

=

ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.

وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فقيدها سبحانه بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله وعمله، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، وأخبر الرسول ﷺ أن أسعد الناس بشفاعته أهل التوحيد والإخلاص، فمن طلبها منه اليوم حرمها يوم القيامة، والله سبحانه قد أخبر أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، إنما تنفع من جرَّد توحيده لله بحيث أن يكون الله وحده هو إلهه ومعبوده، وهو سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ فإذا تأملت الآيات تبين لك أن الشفاعة المنفية هي التي يظنها المشركون ويطلبونها اليوم من غير الله.

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد والإخلاص، كما أخبر الرسول ﷺ أن شفاعته نائلة من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً، والله أعلم.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً»** أخرجه مسلم (رقم ١٩٩).

١٧ـ بابُ

قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وفي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ. فَقَالَ له: «يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله». فَقَالاَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ، فَأَعَادَا. فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَه إِلاَّ الله. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]. وَأَنْزَلَ اللهُ في أبي طالبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1] [القصص: ٥٦].

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

وهذا الباب أيضاً نظير الباب الذي قبله، وذلك أنه إذا كان ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق، وأعظمهم عند الله جاهاً، وأقربهم إليه وسيلة، لا يقدر على هداية من أحب هداية التوفيق. وإنما الهداية كلها بيد الله، فهو الذي تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات، فتبين أنه الإله الحق.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. فالمراد بالهداية هنا هداية البيان، وهو ﷺ، المبلغ عن الله وحيه الذي اهتدى به الخلق .

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٦٠) ومسلم (رقم ٢٤).

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾(١).

الثانية: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾.

الثالثة: وَهِيَ المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»؛ بِخِلاَفِ مَا

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٦/ ٣٠٣): ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه ﷺ لا يهدي من أحب هدايته، ولكنه جل وعلا هو الذي يهدي من يشاء هداه، وهو أعلم بالمهتدين.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] الآية، وقوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه.

وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ جاء معناه موضحاً في آيات كثيرة كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧] والآيات بمثل ذلك كثيرة، وقد أوضحنا سابقاً أن الهدى المنفي عنه ﷺ في قوله تعالى هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هو هدى التوفيق، لأن التوفيق بيد الله وحده، وأن الهدى المثبت له ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه، ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ في أبي طالب مشهور معروف.

وانظر أيضاً: أضواء البيان (٧/ ٨٠ ـ ٨١) (٧/ ١٣٢).

عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ(١).

الرابعة: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ للرَّجُلِ: «قُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ»؛ فَقَبَّحَ الله مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلاَمِ.

الخامسة: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلامِ عَمِّهِ.

السادسة: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلاَمَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْلاَفِهِ.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٢/ ١٥ ـ ١٦): فاعلم أن لا إله إلا الله هي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وهي العروة وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام باقية في عقبه لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الإلهية عما سوى الله وإفراد الله تعالى بالإلهية. والإلهية هي تأله القلب بأنواع العبادة كالمحبة والخضوع والذل بالدعاء والاستعانة والرجاء والخوف والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة، التي ذكر الله في كتابه العزيز أمراً وترغيباً للعباد أن يعبدوا بها ربهم وحده، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وكل فرد من أفراد العبادة لا يستحق أن يقصد به إلا الله وحده، فمن صرفه لغير الله فقد أشركه في حق الله، الذي لا يصلح لغيره، وجعل له ندًّا، وقد عمَّت البلوى بهذا الشرك الأكبر بأرباب القبور والأشجار والأحجار، واتخذوا ذلك دينًا، زعموا أن الله تعالى يحب ذلك ويرضاه، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ وقال تعالى في معنى هذا التوحيد ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي أمر ووصَّى، وهذا معنى لا إله إلا الله فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ هو معنى: لا إله. في كلمة الإخلاص وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هو معنى الاستثناء في لا إله إلا الله. ونظائر هذا في القرآن كثير.

السابعة: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذلِكَ[(١)].

الثامنة: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ[(٢)].

التاسعة: مَضَرَّةُ تعظيمِ الأَسْلافِ والأَكابِرِ.

العاشرة: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذلِكَ، لاسْتِدْلالِ أَبِي جَهْلٍ بِذلِكَ.

الحادية عشرة: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ، لأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.

الثانية عشرة: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلاَّ بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ، فلأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضوحِهَا عِنْدَهُم اقْتَصَرُوا عَلَيْها.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ، وذُكِرَ عنده عمه أبو طالب، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه أم دماغه**» أخرجه البخاري (رقم ٦٥٦٤) ومسلم (رقم ٢١٠).

(٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**» أخرجه أبو داود (رقم ٤٨٣٢) الترمذي (رقم ٢٣٩٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٣٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» أخرجه أبو داود (رقم ٤٨٣٣) والترمذي (رقم ٢٣٧٨) وقال: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥٤٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء: كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة**» أخرجه البخاري (رقم ٥٥٤٣) ومسلم (رقم ٢٦٢٨).

١٨ - بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وتَرْكِهِمْ دِينَهم هُوَ الْغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ

وقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

في الصحيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: ٢٣]. قال: هَذهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ من قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطانُ إِلى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانوا يَجْلِسُونَ فيها أَنْصَاباً، وَسَمُّوها بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، ولَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ[١].

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: قَال غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ[٢].

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ. إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[٣] أَخْرَجاهُ.

وقَالَ[٤]: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٩٢٠).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٥).

(٤) القائل هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وليس عمر رضي الله عنه، كما قد يفهم من العطف وسياق الكلام.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧) والحاكم (١/ ٤٦٦) والبيهقي في سننه الكبرى =

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعونَ». قَالَهَا ثَلاثاً[1].

بـــاب
ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغُلو في الصالحين

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإن حق الله الذي لا يشاركه في مشارك، هو الكمال المطلق، والغِنَى المطلق والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيباً من هذه الأشياء فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذي يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

=

(٥/ ١٢٧) وابن ماجه (رقم ٣٠٢٩) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٣): وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٨٠).

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٠).

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هذَا الباب وَبَابيْنِ بَعْدَهُ؛ تَبَيَّنَ له غُرْبَة الإِسْلاَمِ[١]، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيبهِ لِلْقُلُوبِ العَجَبَ[٢].

والصالحون أيضًا يتبرؤون من أن يدَّعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾.

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًّا وخوفًا ورجاءً.

وحق خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله؛ ولكن هذه لله أصلاً وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم، والله أعلم.

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**» أخرجه مسلم (رقم ١٤٥). وعند أحمد (١/ ١٨٤) من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ: «**فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس**».

(٢) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**» فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**». أخرجه الترمذي (رقم ٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧، ٧٩٨٨).

الثانية: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ؛ أَنَّهُ كَانَ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ.
الثالثة: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ[1]، وَمَا سَبَبُ ذلِكَ، مَعَ مَعْرِفَةِ

---

(١) فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام. أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٧٥ رقم ٤٠٤٨) والحاكم (٢/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٠١).
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٣٧٢): وصحح ابن حبان من حديث أبي أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم». قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون».
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيَّب السوائب». أخرجه البخاري (رقم ٤٦٢٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤): هذا من العلم المشهور: أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام متشبها بأهل البلقاء، وهو أول من سيَّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه يجر قصبه في النار. وهي الأمعاء، ومنه سمي القصاب بذلك، لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد والحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم، فتشبه عمرو بن لحي وكان عظيم أهل مكة يومئذ، لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة، لأن فيها بيت الله، وإليها الحج مازالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأى أن في تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام تعظيماً لله وديناً، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل
=

أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ.

الرابعة: مَعْرِفَةُ سَبَبِ قَبُولِ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا.

الخامسة: أَنَّ سَبَبَ ذلِكَ كُلِّهِ مَزْجُ الحَقِّ بالبَاطِلِ: فَالأَوَّلُ مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ والثاني: فِعلُ أناسٍ من أهلِ العلمِ والدِّينِ شيئاً أرادوا به خيراً، فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُم أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

السادسة: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي في سُورَةِ نُوحٍ.

السابعة: مَعْرِفَةُ جِبلَّةِ الآدَمِيِّ فِي كوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالبَاطِلِ يَزِيدُ.

الثامنة: فِيهِ شَاهِدٌ لِمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبٌ لِلْكُفْرِ، وَأَنَّهَا أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ المَعْصِيَةِ؛ لأَنَّ المَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالبِدْعَةَ لا يُتَابُ مِنْهَا.

التاسعة: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تؤولُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ، وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ.

العاشرة: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.

الحادية عشرة: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ لأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الثانية عشرة: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِها.

الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هذِهِ القِصَّةِ، وَشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا.

الرابعة عشرة: وَهِيَ أَعْجَبُ العَجَبِ قِراءَتُهم «أي: أَهْلَ البِدَعِ» إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهم بِمَعْنَى الكَلاَمِ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِم، حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، واعْتَقَدُوا أَنَّ مَا

=

الأرض الشرك بالله عز وجل، وتغيير دينه إلى أن بعث الله رسوله ﷺ فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام، وأقام التوحيد وحلل ما كانوا يحرمونه.

نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ فَهُوَ الكُفْرُ المُبِيحُ للدَّمِ وَالمَالِ.

الخامسة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ.

السادسة عشرة: ظَنُّهُم أَنَّ العُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذلِكَ.

السابعة عشرة: البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارى ابنَ مَرْيَمَ**»، فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَى مَنْ بَلَّغَ البَلاَغَ المُبِينَ.

الثامنة عشرة: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلاَكِ المُتَنطِّعِينَ.

التاسعة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ؛ فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدرِ وُجُودِهِ، وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ.

العشرون: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ[1].

* * *

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**» أخرجه البخاري (رقم ١٠٠) ومسلم (رقم ٢٦٧٣).

١٩ ـ بَابُ
مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

في الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرضِ الحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيه تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»[1]. فَهَؤلاَءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفتنتين: فِتْنَةِ الْقُبُورِ وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنهَا قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[2] يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلوْلا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسْجِداً. أخْرَجَاهُ. ولِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلى اللهِ أَنْ يَكُونَ لي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَما اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَلِيلاً. ألاَ وإِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[3]. فَقَدْ نَهَى عَنْهُ وهو في آخِرِ حَيَاتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ ـ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ ـ مَنْ فَعَلَهُ. والصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذلِكَ وإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٣٤) ومسلم (رقم ٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٣٥) ومسلم (رقم ٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٥٣٢).

فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِداً. وكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فيه فَقَدِ اتُّخِذَ مسجدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فيهِ يُسَمَّى مَسْجِداً، كَمَا قَالَ ﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُورا**»(١).

وَلأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيْدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مرفوعاً: «**إِنَّ من شِرارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(٢)، وَرواه أَبُو حَاتِمٍ في صَحِيحِه.

بـــاب

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تعبد من دون الله.

ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم وذلك أن ما يفعل عندها نوعان:مشروع وممنوع.

أما المشروع فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شدّ رحل، يزورها المسلم متبعاً للسنة، فيدعو لأهلها عموماً ولأقاربه

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٥) ومسلم (رقم ٥٢١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٣٥) وابن حبان كما في الموارد (رقم ٣٤٠) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٢ رقم ١٠٤١٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٤): وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد. وذكر الحديث.

وأخرج البخاري الجزء الأول منه معلقا (رقم ٧٠٦٧) وعند مسلم مرفوعاً: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**» (رقم ٢٩٤٩).

ومعارفه خصوصاً، فيكون محسناً إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم[١]، ومحسناً إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ[٢].

وأما الممنوع فإنه نوعان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك: كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة[٣].

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ (كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ) يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»** أخرجه مسلم (رقم ٩٧٤). وفي رواية: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: **«قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»**.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله فقال: **«استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت»** أخرجه مسلم (رقم ٩٧٦/ ١٠٨).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٥): فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب، لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك، ولأحاديث أخر، وليس في المسألة خلاف لكون المدفون فيها واحداً، وإنما اختلف أصحابنا في المقبرة المجردة عن مسجد: هل حدها ثلاثة أقبر أو ينهى عن الصلاة عند القبر الفذ، وإن لم يكن عنده قبر آخر؟ على وجهين. أ. هـ

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله في مجموعة الرسائل المسائل النجدية =

والنوع الثاني: شرك أكبر: كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأصنام مع أصنامهم(١).

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. [الزمر: ٣] و﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع

=

(٥/ ٦٤٢): فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها، وأمر بهدمه بعد ما يبنى، ونهى عن الكتابة عليها، ولعن من أسرجها، فنحن نأمر بما أمر به رسول الله ﷺ من تسويتها، وننهى عن البناء عليها، كما نهى عنه رسول الله ﷺ، فهو الذي افترض الله علينا طاعته واتباعه، وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك، كما قال الإمام مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

(١) قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧): فدعاء العبادة ودعاء المسألة كلاهما عبادة لله، لا يجوز صرف شيء منها إلى غيره فلا يجوز أن يطلب من مخلوق ميت أو غائب قضاء حاجة أو تفريج كربة، بل ما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا من الله. فمن دعا ميتا أو غائبا فقال: يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارحمني أو اكشف عني شدتي ونحو ذلك، فهو كافر مشرك يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء، فإن هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ، فإنهم لم يكونوا يقولون: إنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده، كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه، وإنما كانوا يفعلون عندها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم من دعائها والاستغاثة بها والذبح لها والنذر لها، يزعمون أنها وسائط بينهم وبين الله تقربهم وتشفع لهم لديه.

فيه مسائل:

الأولى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِداً يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ.

الثانية: النَّهْيُ عَنِ التَّماثِيلِ، وغِلَظُ الأَمْرِ فِي ذلِكَ.

الثالثة: العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذلِكَ؛ كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هذَا أَوَّلاً، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم [لم][1] يكفر.

من زعم ذلك فقد كذَّب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة: من أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر، في الحالين المذكورين، سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين[2]. وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم، الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه.

---

(١) أثبت ما بين المعكوفين من هامش نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص٧٣).

(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»... أخرجه البخاري (رقم ٤٤٧٧) ومسلم (رقم ٨٦). وعنه قال: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى. قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» أخرجه البخاري (رقم ٤٤٩٧) ومسلم (رقم ٩٢) بلفظ: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار».

الرابعة: نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ.

الخامسة: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِم.

السادسة: لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذلِكَ.

السابعة: أَنَّ مُرَادَهُ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ.

الثامنة: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.

التاسعة: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِداً.

العاشرة: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسْجِداً وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيْعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.

الحادية عشرة: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ: الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ والجَهْمِيَّةُ وبِسَبَبِ الرافِضَةِ حدَثَ الشِّرْكُ وعِبَادَةُ القُبورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ.

الثانية عشرة: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ.

الثالثة عشرة: مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الخُلَّةِ.

الرابعة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مِنَ المَحَبَّةِ.

الخامسة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.

السادسة عشرة: الإِشَارَةُ إِلَى خِلافَتِهِ.

* * *

٢٠ ـ بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي الموطَّأِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**»(١).

ولابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفيانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم:١٩] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ(٢). وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ(٣). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِراتِ الْقُبُورِ، والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ والسُّرُجَ**»(٤). رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

---

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلاً (١/ ١٦٨ رقم ٤٢٣) والإمام أحمد مسنداً (٢/ ٢٤٦) بلفظ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

(٢) انظر:تفسير الطبري (رقم ٢٥١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٤٨٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (رقم ٣٢٣٦) والترمذي (رقم ٣٢٠) والنسائي (٤/ ٩٤ ـ ٩٥ رقم ٢٠٤١) وابن ماجه (رقم ١٥٧٥) والإمام أحمد (١/ ٢٢٩) والحاكم (١/ ٣٧٤) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٢٢٥) بهذا اللفظ. وصح بلفظ «زوَّارات القبور». دون لفظ: «السرج».

قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١/ ٢٥٩ـ ٢٦٠): ولعن المتخذين على القبور المساجد متواتر عنه ﷺ في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح وأسامة بن زيد، قد سقت أحاديثهم وخرجتها في «التعليقات الجياد على زاد المعاد» ثم في «تحذير الساجد من اتخاذ =

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ.

الثانية: تَفْسِيرُ العِبَادَةِ.

الثالثة: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلاَّ مِمَّا يَخَافُ وُقُوعَهُ.

الرابعة: قَرْنُهُ بِهذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِياءِ مَسَاجِدَ.

الخامسة: ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ الله.

السادسة: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا: صِفَةُ مَعْرِفَةِ عِبَادَةِ اللاَّتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ.

=

القبور مساجد» وهو مطبوع، ونص حديث عائشة وابن عباس مرفوعاً: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» زاد أحمد في روايته: «**يحرم ذلك على أمته**» وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «**إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**».

ومع هذه الأحاديث الكثيرة في لعن من يتخذ المساجد على القبور تجد كثيراً من المسلمين يتقربون إلى الله ببنائها عليها والصلاة فيها، وهذا عين المحادة لله ورسوله. انظر: الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر» للفقيه أحمد بن حجر الهيتمي (١/ ١٢١) وقد صرح بعض الحنفية وغيرهم بكراهة الصلاة فيها، بل نقل بعض المحققين اتفاق العلماء على ذلك، فانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٠٧) (٢/ ١٩٢) «وعمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني الحنفي (٤/ ١٤٩) وشرحه للحافظ ابن حجر (٣/ ١٠٦).

وأما لعن المتخذين عليها السرج فلم نجد في الأحاديث ما يشهد له، فهذا القدر من الحديث ضعيف وإن لهج إخواننا السلفيون بالاستدلال به، ونصيحتي إليهم أن يمسكوا عن نسبته إليه ﷺ لعدم صحته، وأن يستدلوا على منع السرج على القبور بعمومات الشريعة، مثل قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**» ونهيه ﷺ عن إضاعة المال، ونهيه عن التشبه بالكفار، ونحو ذلك.

السابعة: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثامنة: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ.

التاسعة: لَعْنُهُ زَوَّاراتِ القُبُورِ[١].

---

(١) إذا كان رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور، فالمقصود بذلك الكثيرات الزيارة، أما أصل الزيارة للنساء فمشروعة ولا حرج فيها، فقد قال الشيخ الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص١٨٠ ـ ١٨٧): والنساء كالرجال في استحباب زيارة القبور، لوجوه:

الأول: عموم قوله ﷺ: «...فزوروا القبور» فيدخل فيه النساء، فبيانه: أن النبي ﷺ لما نهى عن زيارة القبور في أول الأمر فلا شك أن النهي كان شاملاً للرجال والنساء معاً، فلما قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور» كان مفهوماً أنه كان يعني الجنسين ضرورة أنه يخبرهم عما كان في أول الأمر من نهي الجنسين، فإذا كان الأمر كذلك كان لزاماً أن الخطاب في الجملة الثانية من الحديث وهو قوله: «فزوروها» إنما أراد به الجنسين أيضاً...

الثاني: مشاركتهن الرجال في العلة، التي من أجلها شرعت زيارة القبور، «فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة».

الثالث: أن النبي ﷺ قد رخص لهن في زيارة القبور في حديثين، حفظتهما لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أ ـ عن عبد الله بن أبي مليكة: أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم. ثم أمر بزيارتها. وفي رواية عنها: أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور.

ب ـ عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يوماً: ألا أحدثكم عني وعن أمي؟ فظننا أنه يريد أمه التي ولدته، قال: قالت عائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى، .... وفيه قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن

=

العاشرة: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَها

* * *

=

شاء الله بكم لاحقون».

الرابع: إقرار النبي ﷺ المرأة التي رآها عند القبر في حديث أنس رضي الله عنه: مر رسول الله ﷺ بامرأة عند قبر وهي تبكي، فقال لها: «اتقي الله واصبري» رواه البخاري وغيره. قال الحافظ في الفتح: وموضع الدلالة منه أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حجة. وقال العيني في العمدة ٣/ ٧٦: وفيه جواز زيارة القبور مطلقاً، سواء كان الزائر رجلاً أو امرأة، وسواء كان المزور مسلماً أو كافراً، لعدم الفصل في ذلك.

ولكن لا يجوز لهن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها، لأن ذلك قد يفضي بهن إلى مخالفة الشريعة، من مثل الصياح والتبرج واتخاذ القبور مجالس للنزهة وتضييع الوقت في الكلام الفارغ، كما هو مشاهد في بعض البلاد الإسلامية، وهذا هو المراد إن شاء الله بالحديث المشهور «لعن رسول الله ﷺ «وفي لفظ: لعن الله) زوّارات القبور».... فهذا اللفظ «زوّارات» إنما يدل على لعن النساء اللاتي يكثرن الزيارة، بخلاف غيرهن فلا يشملهن اللعن، فلا يجوز حينئذ أن يعارض بهذا الحديث ما سبق من الأحاديث الدالة على استحباب الزيارة للنساء، لأنه خاص وتلك عامة، فيعمل بكل منهما في محله، فهذا الجمع أولى من دعوى النسخ، وإلى نحو ما ذكرنا ذهب جماعة من العلماء، فقال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.

قال الشوكاني في نيل الأوطار ٤/ ٩٥: وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر ـ انتهى ملخصاً ـ.

٢١ ـ بَابُ
مَا جَاءَ فِي حمايةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنابَ التَّوْحِيد وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ[١]

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[٢] الآية [التوبة: ١٢٨]

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ - رَضِيَ اللهُ عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ»[٣] رواهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَينِ رضي

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله في تيسير العزيز الحميد (ص٣٤٧ـ ٣٤٨): الجناب: هو الجانب، واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئاً من حمايته ﷺ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة، ولقد بالغ ﷺ وحذَّر وأنذر، وأبدأ وأعاد، وخصَّ وعمَّ في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

(٢) لقد كان رسول الله ﷺ أحرص الناس على أمته، يحب هدايتهم وطاعتهم لربهم ونجاتهم من أسباب الهلاك والردى، ولا أدل على ذلك من تصويره لمثله ومثل أمته يقول ﷺ: **«مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم. أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار. هلم عن النار. فتغلبوني تقحَّمون فيها»**. أخرجه البخاري مختصراً (رقم ٣٤٢٦) ومسلم واللفظ له (رقم ٢٢٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود (رقم ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧) والطبراني في الأوسط (رقم ٨٠٢٦)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٩): وهذا =

الله عنه: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانت عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيدخُلُ فيهَا فَيدْعُو فنَهاهُ، وَقَالَ: أَلا أُحَدِّثك حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلاَ بيُوتَكُمْ قُبُوراً وصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَما -أو حَيْثُ- كُنْتُمْ**»[1] رواهُ في المُخْتَارَةِ.

بـــاب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ
جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد؛ وينميه ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله

=

إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٢٦).

(١) أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٤٩ رقم ٤٢٨) وقال محققه: في إسناده لين...والحديث لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع. هكذا قال المحقق حفظه الله. بينما وجدت الحديث عند أبي يعلى في مسنده (١/ ٣٦١ـ ٣٦٢ رقم ٤٦٩) وقال محقق المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه.

والحديث ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٠١) (٢/ ٦٦٠ـ ٦٦١) وقال في الموضع الثاني: رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه.

وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص١٢٣)، وكذا صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (رقم ٣٧٨٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ (بَرَآءَة).

الثانية: إِبْعَادُهُ ﷺ أُمَّتَهُ عَنْ هذا الحِمَى غايةَ البُعْدِ[١].

الثالثة: ذِكْرُ حِرْصِهِ ﷺ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه، والسعي لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رق المخلوقين، وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها، وخصوصاً حث النصوص على روح العبودية، وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين. ونهى عن التشبه بالمشركين، لأنه يدعو إلى الميل إليهم. ونهى عن أقوال وأفعال يُخشى أن يتوصل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد. ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين، ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة، وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح.

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة[٢].

---

(١) فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» أخرجه البخاري (رقم ٥٢) ومسلم (رقم ١٥٩٩).

(٢) قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٣٠٩): كل هذا لئلا =

الرابعة: نَهْيُهُ ﷺ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.

الخامسة: نَهْيُه ﷺ عَنِ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السادسة: حَثُّهُ ﷺ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ(١).

السابعة: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ(٢).

الثامنة: تَعْلِيلُ ذلِكَ بِأَنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ وَسَلاَمَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ؛ فَلاَ حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ(٣).

= يحصل الافتتان بها، ويتخذ العكوف عليها، وإيقاد السرج والصلاة فيها وإليها، وجعلها عيداً ذريعة إلى الشرك، لاسيما أصل الشرك وعبادة الأصنام في الأمم السالفة، إنما هو من الافتتان بالقبور وتعظيمها، فاتخاذه القبر عيداً هو مثل اتخاذه مسجداً والصلاة إليه، بل أبلغ وأحق بالنهي.

(١) فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...**فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» أخرجه البخاري (رقم ٧٣١) ومسلم (رقم ٧٨١).

(٢) لحديث: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» أخرجه أحمد (٣/ ٨٣) والترمذي (رقم ٣١٧) وأبو داود (رقم ٤٩٢) وابن ماجه (رقم ٧٤٥) والحاكم (١/ ٢٥١) وقال: على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٥٢٩): رجاله ثقات، لكن اختلف في وصله وإرساله، وحكم مع ذلك بصحته الحاكم وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٧٦٧).

(٣) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**» أخرجه أبو داود (رقم ٢٠٤١) وأحمد (٢/ ٥٢٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٣): وهذا =

التاسعة: كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ[1].

* * *

=

الحديث على شرط مسلم. وحسَّن الحديث الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٦٧٩).

(١) لحديث: «أكثروا الصلاة عليَّ في يوم الجمعة، فإنه ليس يصلي عليَّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت عليَّ صلاته» صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٠٨).

ولحديث: «أكثروا الصلاة عليَّ فإن الله وكَّل بي ملكاً عند قبري، فإذا صلى عليَّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة» حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٠٧).

٢٢ ـ بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوثَانَ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦١]. وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قالوا: يَا رَسُولَ الله، الْيَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»[1] أخرجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللهُ عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مُشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْها. وأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وإِنِّي سأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتي أَنْ لا يُهلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وإِنَّ رَبِّي قَالَ: يا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذا قَضَيْتُ قضاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسنَةٍ بعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بأَقْطارِهَا، حتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، ويَسْبي بعْضُهُمْ بَعضاً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٥٦) ومسلم (رقم ٢٦٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٨٨٩).

ورَوَاهُ البُرْقَانِيُّ في صَحيحِهِ وَزَادَ: «وإِنَّما أَخافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الـمُضلِّينَ. وإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ منْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّه سَيَكُونُ في أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيينَ لا نَبيَّ بَعْدِي، ولاَ تزالُ طَائِفَةٌ منْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصورةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَـهُمْ ولا من خَالفَهُم حَتَّى يأتِيَ أَمْرُ الله، تَبَارَكَ وتَعَالى»[1].

بـــاب

ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

مقصود هذه الترجمة: الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه، ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلاً لا عبادة، فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله، لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع، وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثناً وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته، لا بمجرد الأسامي والألفاظ، التي لا حقيقة لها.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٢٥٢) وابن ماجه (رقم ٣٩٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٧٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ المَائِدَةِ.

الثالثة: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الرابعة: وَهِيَ أَهَمُّهَا: مَا مَعْنَى الإِيمَانُ بِالْجِبْتِ[١] وَالطَّاغُوتِ[٢] فِي هذَا المَوْضِعِ؟ هَلْ هُوَ اعِتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطلاَنِهَا؟

الخامسة: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلاً مِنَ المُؤْمِنِينَ.

السادسة: وَهِيَ المَقْصُودُ بِالتَّرْجَمَةِ: أَنَّ هذَا لابُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

السابعة: تَصْرِيحُهُ بِوُقُوعِهَا - أَعْنِي عِبَادَةَ الأَوْثَانِ - فِي هذِهِ الأُمَّةِ[٣] فِي

---

(١) قال الراغب رحمه الله في المفردات (ص٨٥): ويقال لكل ما عبد من دون الله: جبتٌ، وسمّي الساحر والكاهن جبتاً.

(٢) قال الراغب رحمه الله في المفردات (ص٣٠٤ ـ ٣٠٥): والطاغوت عبارة عن كل متعدٍّ وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ فعبارة عن كل متعد، ولما تقدم سمي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً.

(٣) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**». وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة. أخرجه البخاري (رقم ٧١١٦) ومسلم (رقم ٢٩٠٦). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى....**» أخرجه مسلم (رقم ٢٩٠٧).

جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ.

الثامنة: العَجَبُ العُجَابُ: خُروجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ؛ مِثْلِ الْمُخْتَارِ، مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَصْرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفيهِ أَنَّ مُحَمَّداً خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، ومَعَ هذَا يُصَدَّقُ فِي هذَا كُلِّهِ، مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ.

التاسعة: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لا يَزُولُ بِالكُلِّيَّةِ، كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

العاشرة: الآيَةُ العُظْمَى: أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِم لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ.

الحادية عشرة: أَنَّ ذلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثانية عشرة: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ: مِنْهَا إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، بِخِلاَفِ الجَنُوبِ والشَّمَالِ. وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ. وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ. وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ. وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ. وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِإِهْلاَكِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. وَخَوْفُهُ ﷺ عَلَى أُمَّته مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ. وإخبارُهُ ﷺ بِظُهورِ المُتَنَبِّئِينَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ. وَإِخْبَارُهُ ﷺ ببقَاءِ الطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ. وَكُلُّ هذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَبْعَدُ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ.

الثالثة عشرة: حَصْرُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ.

الرابعة عشرة: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

٢٣ ـ بَابُ
مَا جَاءَ فِي السِّحرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ: الْجِبْتُ: السِّحْرُ. والطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ[١]. وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّواغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حيٍّ وَاحِدٌ[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبعَ الْـمُوبِقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤمِنَاتِ**»[٣]. وَعَنْ جُنْدُبٍ مرفوعاً: «**حَدُّ السّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»[٤] رَوَاهُ التِّرمِذيُّ. وَقَالَ: الصحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ (٨/ ٢٥١ فتح).

(٢) فتح الباري (٨/ ٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٦٦) ومسلم (رقم٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي (رقم ١٤٦٠) والحاكم (٤/ ٣٦٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح، وله شاهد صحيح على شرطهما جميعاً في ضد هذا. ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضاً الطبراني في معجمه الكبير (٢/ ١٦١ رقم ١٦٦٥، ١٦٦٦) والدارقطني في سننه (رقم (٣١٧٩) والبيهقي (٨/ ١٣٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٦٩٩).

وَفي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كتب عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ: «أَنِ اقْتُلُوا كلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاَثَ سَوَاحِرَ(١). وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بَقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا. فَقُتِلَتْ(٢). وكذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ(٣). قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثالثة: تَفْسِيرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

الرابعة: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الإِنْسِ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٠ ـ ١٩١) وأبو داود (رقم ٣٠٤٣) وهذا اللفظ لم أجده في البخاري، كما ذكر المصنف رحمه الله، وأصل الحديث عنده (رقم ٣١٥٦، ٣١٥٧).

(٢) أخرجه مالك بلاغاً (٢/ ٣٧٧ رقم ١٦٧٢) والبيهقي موصولاً (٨/ ١٣٦).

(٣) قال البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير (٢/ ٢٢٢ رقم ٢٢٦٨): جندب بن كعب قاتل الساحر... عن خالد الحذاء عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنساناً وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. أ.هـ

وأخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦١) عن الحسن أن أميراً من أمراء الكوفة دعا ساحراً يلعب بين يدي الناس، فبلغ جندب فأقبل بسيفه واشتمل عليه، فلما رآه ضربه بسيفه فتفرق الناس عنه، فقال: أيها الناس لن تراعوا، إنما أردت الساحر، فأخذه الأمير فحبسه، فبلغ ذلك سلمان فقال: بئس ما صنعا، لم يكن ينبغي لهذا وهو إمام يؤتم به يدعو ساحراً يلعب بين يديه، ولا ينبغي لهذا أن يعاتب أميره بالسيف.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٢): واختار الطبري أن المراد بالجبت والطاغوت جنس من =

الخامسة: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ المُوبِقَاتِ المَخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السادسة: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السابعة: أَنَّهُ يُقْتَلُ(١) وَلاَ يُسْتَتَابُ(٢).

الثامنة: وُجُودُ هذَا فِي المُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ؛ فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!.

* * *

=

كان يعبد من دون الله، سواء كان صنماً أو شيطاناً جنيًا أو آدميًا، فيدخل فيه الساحر والكاهن، والله أعلم.

(١) قال ابن قدامة في المغني (١٢/ ٣٠٢): وحد الساحر القتل. روي ذلك عن عمر وعثمان ابن عفان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة ومالك، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، وهو قول ابن المنذر، ورواية عن أحمد.

(٢) قال ابن قدامة في المغني (١٢/ ٣٠٣): وهل يستتاب الساحر؟ فيه روايتان: إحداهما: لا يستتاب وهو ظاهر، نقل عن الصحابة... والثانية: يستتاب، فإن تاب قبلت توبته، لأنه ليس بأعظم من الشرك، والمشرك يستتاب.

٢٤ ـ بابُ
بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بنِ العَلاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ**»[1]. قَالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ. والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ. والجِبْتُ: قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ[2]. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. ولأَبِي دَاوُدَ والنَّسَائِيِّ وابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، المُسْنَدُ مِنْهُ.

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**»[3] رواهُ أَبُو دَاودَ،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧) و(٥/ ٦٠) وأبو داود (رقم ٣٩٠٧، ٣٩٠٨) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٩ رقم ٩٤١ ـ ٩٤٥) والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٧٧ رقم ٣٢٥٦) والبيهقي (٨/ ١٣٩) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٦٤٦ رقم ٦٠٩٨). قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين (رقم ١٦٧٩): رواه أبو داود بإسناد حسن. وقال الألباني في الحاشية: كذا قال، وفيه حيان بن العلاء وهو مجهول، وانظر تخريج الحلال (ص٢٩٩).

(٢) كذا بالأصل، والذي عند أحمد (٥/ ٦٠): «إنه الشيطان». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح النبي ﷺ مكة رنَّ إبليس رنَّة اجتمعت إليه جنوده فقال: ايئسوا أن ترتد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح. أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ١١/ رقم ١٢٣١٨) وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٦): رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣١١) وأبو داود (رقم ٣٩٠٥) وابن ماجه (رقم ٣٧٢٦) والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٨ـ ١٣٩) والطبراني في الكبير (١١/ ١٣٥ رقم ١١٢٧٨) قال النووي في =

وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. ولِلنَّسائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي اللهُ عنه –: **«مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، ومَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، ومَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ»**[١].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أَلاَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ: النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»**[٢] رَواهُ مُسْلِمٌ. وَلَهُمَا عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»**[٣].

باب
السحر وشيء من أنواع السحر

وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد: أن كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر؛ فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره.

ولهذا قرنه الشارع بالشرك[٤]، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

=

رياض الصالحين (رقم ١٦٨٠): رواه أبو داود بإسناد صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٠٧٤).

(١) أخرجه النسائي (٧/ ١١٢ رقم ٤٠٧٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥١٤٦).

(٤) يروى في ذلك حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عقد عُقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وكل إليه»**. أخرجه

=

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: أَنَّ العِيافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ.

الثانية: تَفْسِيرُ العِيَافَةِ[1] والطَّرْقِ[2] والطِّيَرَةِ[3].

الثالثة: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ.

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون، ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه، وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضاً من التصرفات المحرمة، والأفعال القبيحة: كالقتل، والتفريق بين المتحابين، والصرف، والعطف، والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله، ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده.

ومن أنواع الواقعة في كثير من الناس النميمة، لمشاركتهم للسحر في التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور.

فالسحر أنواع ودركات، بعضها أقبح وأسفل من بعض.

=

النسائي (٧/ ١١٢ رقم ٤٠٧٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٧٠٢).

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ٣٣٠): العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. وهو من عادة العرب كثيراً، وهو كثير في أشعارهم. يقال: عاف يعيف عيفا. إذا زجر وحدس وظن.

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ١٢١): الطرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء. وقيل: هو الخط في الرمل.

(٣) سيأتي الكلام عنه بعد بابين.

الرابعة: أَنَّ العَقْدَ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ(١).

الخامسة: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ(٢).

السادسة: أَنَّ مِنَ ذَلِكَ بَعْضَ الفَصَاحَةِ(٣).

* * *

(١) قال البخاري رحمه الله في كتاب الطب، باب السحر (ص١١٢٨): وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ والنفاثات: السواحر.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» أخرجه البخاري (رقم ٦٠٥٦) ومسلم (رقم ١٠٥). وقال يحيى بن أبي كثير: النمام يفسد في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر.

والنمامون هم لصوص المحبة. وهم من شرار الناس، لحديث رسول الله ﷺ: «تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» أخرجه البخاري (رقم ٦٠٥٨) ومسلم (رقم ٢٥٢٦).

(٣) إن استعملت الفصاحة والبلاغة والبيان في تغييب الحق وطمس معالمه وإظهار الباطل وإيضاح معالمه تكون مذمومة منهيًّا عنها، آثم صاحبها معرض للعقوبة، لحديث رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها» أخرجه البخاري (رقم ٢٦٨٠) ومسلم (رقم ١٧١٣).

٢٥ - بَابُ
مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ ونَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[٢] رَوَاهُ أَبو دَاودَ.

ولِلأَرْبَعَةِ والحَاكِمِ وقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[٣].

ولأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا[٤].

وعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ، أَوْ

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٢٣٠) وليس فيه جملة: «فصدقه بما يقول» وهي عند أحمد في المسند (٤/ ٦٨) (٥/ ٣٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٣٩٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ١٣٥) وابن ماجه (رقم ٦٣٩) وأحمد (٢/ ٤٢٩) والحاكم (١/ ٨) والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢١) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٣٩).

(٤) أخرجه أبو يعلى (٩/ ٢٨٠ رقم ٥٤٠٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢١): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، إلا أنه قال: فصدقه. وكذلك رواية البزار ورجال الكبير والبزار ثقات. ثم قال بعد أن أورد رواية عبد الله بن مسعود: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة ابن مريم وهو ثقة.

تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ، أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ، أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[١] رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأوسط بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى» إِلى آخِرِهِ[٢].

قَالَ الْبَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى المَسْرُوقِ ومَكَانِ الضَّالَّةِ ونَحْوِ ذَلِكَ وقِيلَ هُوَ: الكَاهِنُ. والكَاهِنُ: هُوَ الذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وقِيلَ: الذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: العَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ والْمُنَجِّمِ والرَّمَّالِ ونَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ «يَكْتُبُونَ» أَبَا جَادٍ ويَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: ما أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢ رقم ٣٥٥) قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٢٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٤٣٥).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٠): رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة ابن صالح وهو ضعيف.

(٣) يروى في ذلك حديث مرفوع فيه: «**رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة**». أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤١ رقم ١٠٩٨٠) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٢٠): رواه الطبراني وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣٠٩٢) وقال في السلسلة الضعيفة (١/ ٤٢١ رقم ٤١٧): موضوع.

=

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: لا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الكَاهِنِ مَعَ الإِيمَانِ بِالقُرْآنِ.

الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ.

بــاب
ما جاء في الكهان ونحوهم

أي من كل من يدَّعي علم الغيب بأي طريق من الطرق. وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدَّق من ادَّعى ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذَّب الله ورسوله.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط، التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به. ومن جهة التقرب إلى غير الله.

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول.

=

قال الفيروزآبادي رحمه الله في القاموس (ص٢٧٥): ووقعوا في أبيجاد، أي في باطل.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكَاهِنِ والعَرَّافِ[1].

* * *

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٤/ ٢١٤ـ ٢١٥): الكاهن: الـذي يتعـاطى الخـبر عـن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسـرار. وقـد كـان في العـرب كهنـة. كشـق وسطيح وغيرهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئيـا يلقـي إليـه الأخبـار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب، يستدل بها على مواقعهـا مـن كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العرّاف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما.

٢٦ ـ بَابُ
ما جَاءَ فِي النُّشْرَةِ[١]

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[٢] رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وأَبُو دَاوُدَ، وقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: ابنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وفِي «البُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابنِ المُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاَحَ، فَأَمَّا ما يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ[٣]. انتهى ورُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلاَّ سَاحِرٌ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

إِحْدَاهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وهُوَ الذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ والمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُورِ.

والثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ والتَّعَوُّذَاتِ والأَدْوِيَةِ والدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.

---

(١) النُّشرة بالضم: رقية يعالج بها المجنون والمريض وقد نشر عنه. كما في القاموس (ص٤٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (رقم ٣٨٦٨) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٣٣): ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (ص١١٢٩).

الثانية: الفَرْقُ بَيْنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ والمُرَخَّصِ فِيهِ، مِمَّا يُزِيلُ الإِشْكَالَ[1].

باب النشرة

وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.

* * *

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٠/ ٢٣٣): قال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر. وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور، فقال: لا بأس به، وهذا هو المعتمد، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله: النشرة من عمل الشيطان. إشارة إلى أصلها، ويختلف الحكم بالقصد، فمن قصد بها خيراً، كان خيراً وإلا فهو شر. ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره، لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ، ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين.

٢٧ ـ باب
ما جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١]وقوله: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاعَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ولا هَامَةَ، ولا صَفَرَ**»[١] أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: «**ولا نَوْءَ ولا غُولَ**»[٢]. ولهما عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لا عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قَالُوا: ومَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»[٣]. ولأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ [عُرْوَةَ][٤] بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فقَالَ: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ**»[٥]. وَلَهُ مِنْ حديثِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ومَا مِنَّا إِلاَّ، ولَكِنَّ اللهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٧٠٧) ومسلم (رقم ٢٢٢٠/ ١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٢٢٢/ ١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٧٧٦) ومسلم (رقم ٢٢٢٤).

(٤) في نسخ كتاب التوحيد (عقبة) والصواب المثبت كما في مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أبو داود (رقم ٣٩١٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٢٩٣) والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٩). قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ١٢٣ رقم ١٦١٩): ضعيف الإسناد... إلا أنه قال: عقبة بن عامر الجهني. بدل عروة بن عامر. وأظنه تصحيفاً من بعض الرواة. وضعفه في ضعيف الجامع (رقم ١٩٩).

يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[١] رَواهُ أَبو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ، وجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ[٢].

ولأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَمْرٍو: **«مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**. قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: **«أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ لا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ، ولا طَيْرَ إلاَّ طَيْرُكَ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ»**[٣]. ولَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ : **«إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»**[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٩١٠) الترمذي (رقم ١٦١٤) وابن ماجه (رقم ٣٥٣٨) قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ١٥٢): وقيل: إن قوله: «وما منا إلا» من قول ابن مسعود أدرجه في الحديث، وإنما جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك. وقوله: «ولكن الله يذهبه بالتوكل» معناه: أنه إذا خطر له عارض التطير، فتوكل على الله وسلم إليه، ولم يعمل بذلك الخاطر غفر الله له، ولم يؤاخذه به.

ولكن الألباني رحمه الله اختار في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٩١ـ ٧٩٢ رقم ٤٢٩) عدم الإدراج فقال: قلت: يعني أن هذا القدر من الحديث مدرج ليس مرفوعاً، وكأنه لهذا لم يورده السيوطي بتمامه، وإنما أورد الجملة الأولى منه، اعتماداً على كلام ابن حرب. قال الشارح المناوي: لكن تعقبه ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة. قلت: ولا حجة هنا في الإدراج، فالحديث صحيح بكامله.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٢٩٢)، قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٨): رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٥٣ـ ٥٤ رقم ١٠٦٥).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢١٣) وفيه انقطاع، فإن مسلمة الجهني لم يسمع من الفضل.

بـاب الطيرة

وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.

والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلاماً يسره، مثل: يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثّر في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر.

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي، فيترك ما كان عازماً على فعله أو بالعكس، فيتطير بذلك، وينكص عن الأمر الذي كان عازماً عليه، فهذا كما ترى قد علَّق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثَّر على إيمانه، وأخلَّ بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما سيحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين، وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسباباً، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهمًّا وغمًّا، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله. وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر، فقوي تطيره، وربما

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: التَّنْبِيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾.

الثانية: نَفْيُ العَدْوَى[1].

الثالثة: نَفْيُ الطِّيَرَةِ[2].

تدرَّج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل. وينبغي لمن وجد شيئاً من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها، ويستعين بالله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه، ليندفع الشر عنه.

---

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ١٩٢): العدوى: اسم من الإعداء، كالرعوى والبقوى، من الإرعاء والإبقاء. يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. وذلك أن يكون ببعير جَرَبٌ مثلاً فتُتَّقى مخالطته بإبل أخرى حِذاراً أن يتعدَّى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه. وقد أبطله الإسلام، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس الأمر كذلك، وإنما الله هو الذي يُمرض ويُنْزل الداء. ولهذا قال في بعض الأحاديث: «فمن أعدى البعير الأول؟!» اي من أين صار فيه الجرب؟

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ١٥٢): الطِّيَرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. وهو مصدر تطيَّر. يقال: تطير طيرة، وتخير خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما. وأصله مما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر انه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر.

الرابعة: نَفْيُ الهَامَةِ[1].

الخامسة: نَفْيُ الصَّفرِ[2].

السادسة: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السابعة: تَفْسِيرُ الفَأْلِ.

الثامنة: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لا يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ.

التاسعة: ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ.

العاشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الحادية عشرة: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ.

* * *

---

(١) قال ابن الأثر رحمه الله في النهاية (٥/ ٢٨٣): الهامة: الرأس، واسم طائر. وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل. وقيل: هي البومة. وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة، فتقول: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت. وقيل: روحه، تصير هامة فتطير، ويسمونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه.

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ٣٥): كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها: الصَّفَر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْدي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو تأخير المحرم إلى صفر، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام، فأبطله.

٢٨ ـ بَابُ
ما جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ ورُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ»[1]. انتهى

وكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، ولَمْ يُرَخِّصِ ابنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا، ورَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وإِسْحَاقُ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وقَاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»**[2]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

بـــاب
ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان:

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية؛ فهذا باطل، ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب، الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادَّعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد، لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (ص٦١٤) ط بيت الأفكار.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٩٩) وابن حبان كما في الموارد (رقم ١٣٨٠، ١٣٨١) والحاكم (٤/ ١٤٦) وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٨٩ رقم ٦٧٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ.

الثانية: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الثالثة: ذِكْرُ الخِلاَفِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ.

الرابعة: الوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ ولَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني:علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع، قد حث عليه الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات.

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه. وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.

* * *

٢٩ - بابٌ
ما جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ[١]

وقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، والطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، والاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، والنِّيَاحَةُ**» وقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ولَهُمَا عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي اللهُ عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هل تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا،**

---

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٥/ ١٢٢): وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون: مطرنا بنوء كذا. وإنما سمي نوءًا، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءًا، أي نهض وطلع. وقيل: أراد بالنوء الغروب، وهو من الأضداد قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع. وإنما غلّظ النبي ﷺ في أمر الأنواء، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله: مطرنا بنوء كذا. أي في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني. فإن ذلك جائز. أي أن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٩٣٤).

فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوكَبِ»[١].

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ وفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢] [الواقعة: ٧٥ – ٨٢].

بـــاب
الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولاً واعترافاً واستعانة بها على طاعته كان قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشد المنافاة، لإضافة المطر إلى النوء.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله، فإنه الذي تفضل بها على عباده. ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزّل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه، ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره.

وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يُعرف كامل الإيمان وناقصه.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٨٤٦) ومسلم (رقم ٧١).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٧٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ الوَاقِعَةِ.

الثانية: ذِكْرُ الأَرْبَعِ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ[١].

الثالثة: ذِكْرُ الكُفْرِ فِي بَعْضِهَا.

الرابعة: أَنَّ مِنَ الكُفْرِ مَا لا يُخْرِجُ عَنِ المِلَّةِ[٢].

الخامسة: قَوْلُهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ»؛ بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٩) بعد أن ذكر حديث أبي مالك: ذم في الحديث من دعا بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذما لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن في ذلك ذمًّا للتبرج، وذمًّا لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢١١ـ ٢١٢): وروى مسلم في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**» (رقم ٦٧) فقوله: «**هما بهم كفر**» أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان، وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله ﷺ: «**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة**» وبين كفر منكر في الإثبات.

السادسة: التَّفَطُّنُ للإِيمَانِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

السابعة: التَّفَطُّنُ لِلكُفْرِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

الثامنة: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وكَذَا».

التاسعة: إِخْرَاجُ العَالِمِ لِلْمُتَعَلِّم المَسْأَلَةَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهَا، لِقَوْلِهِ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

العاشرة: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

* * *

٣٠ ـ بابٌ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1] [البقرة:١٦٥] وقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قولِهِ: ﴿أَحَبَّ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (ص٢٦٦): وأصح القولين أن المعنى: يحبونهم كما يحبون الله، وسووا بين الله وبين أندادهم في الحب. ثم نفى ذلك عن المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فإن الذين آمنوا أخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره، وأما المشركون فلم يخصلوه لله.

والمقصود من الخلق والأمر إنما هو هذه المحبة، وهي أول دعوة الرسل وآخر كلام العبد المؤمن، الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة، وإفراد الرب بها فهو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل، فهي قطب رحى السعادة، وروح الإيمان، وساق شجرة الإسلام، ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديد. فالكتاب هاد إليها ودال عليها ومفصل لها، والحديد لمن خرج عنها وأشرك فيها مع الله غيره، ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها، الذين أخلصوها لله وحده فأخلصهم لها. والنار دار من أشرك فيها مع الله غيره، وسوَّى بينه وبين الله فيها، كما أخبر تعالى عن أهلها أنهم يقولون في النار لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء ٩٧، ٩٨]. وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات بحيث اعتقدوا أنها مساوية لله سبحانه في أفعاله وصفاته، وإنما كانت تسوية منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية، مع إقرارهم بالفرق بين الله وبينها، فتصحيح هذه هو تصحيح شهادة: أن لا إله إلا الله.

فحقيق لمن نصح نفسه وأحب سعادتها ونجاتها أن يتيقظ لهذه المسألة: علماً وعملاً وحالاً. وتكون أهم الأشياء عنده، وأجل علومه وأعماله، فإن الشأن كله فيها، والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها.

إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١] أَخْرَجَاهُ. ولَهُمَا عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[٢]. وفِي رِوَايَةٍ: «لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى» إِلَى آخِرِهِ[٣].

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وأَبْغَضَ فِي اللهِ، ووَالَى فِي اللهِ، وعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، ولَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ - وإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ. وقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئاً»[٤]. رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ. وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قَالَ: المَوَدَّةُ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٥) ومسلم (رقم ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٦) ومسلم (رقم ٤٣).

(٣) أخرجها البخاري (رقم ٦٠٤١).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤١٧ رقم ١٣٥٣٧) وابن المبارك في الزهد (رقم ٣٣٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في المجمع (١/ ٩٥): رواه الطبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم، والأكثر على ضعفه. وانظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ١٧٢٨).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٧٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٢ - ١٣٣): قال عطاء: عن ابن عباس =

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة، التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله، ويقدّم طاعتهم على طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم، فهذا من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله. وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئاً، وهذا السبب الواهي الذي تعلّق به المشركون سينقطع يوم القيامة، أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضاً وعداوة.

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله

=

رضي الله عنهما: المودة. وقال مجاهد: تواصلهم في الدنيا. وقال الضحاك: يعني تقطعت بهم الأرحام، وتفرقت بهم المنازل في النار. وقال أبو صالح: الأعمال. والكل حق، فإن الأسباب هي الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم أحوج ما كانوا إليها.

وأما أسباب الموحدين المخلصين لله، فاتصلت بهم ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم، فإن السبب تبع لغايته في البقاء والانقطاع.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ البَقَرةِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيةِ بَرَاءَة.

من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها[1].

الثالث: محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، وملك، وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه[2].

وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها، وهذه إذا كانت مباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدَّت عن ذلك وتُوُسِّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإلا بقيت من أقسام المباحات، والله أعلم.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين (ص٣١٤): المحبة ثلاثة أقسام: محبة الله، والمحبة له وفيه، والمحبة معه. فالمحبة له وفيه من تمام محبته وموجباتها، لا من قواطعها، فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب، ومحبة ما يعين على حبه، ويوصل إلى رضاه وقربه، وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه، ويتوصل به إلى حبه وقربه؟!

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين (ص٣١٤): وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية، وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السماوات والأرض، وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله، فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها، وقالوا: هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم. ففرق بين محبة الله أصلاً والمحبة له تبعاً والمحبة معه شركا. وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك.

الثالثة: وُجُوبُ [تقديمِ] (١) مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ والأَهْلِ والمَالِ (٢).

الرابعة: أَنَّ نَفْيَ الإِيمَانِ لا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوجِ مِنَ الإِسْلامِ.

الخامسة: أَنَّ للإِيمَانِ حَلاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ وقَدْ لا يَجِدُهَا.

السادسة: أَعْمَالُ القَلْبِ [الأَرْبَعَةِ] (٣) الَّتِي لا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ إِلا بِهَا، ولا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ إِلا بِهَا.

السابعة: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ: أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.

الثامنة: تَفْسِيرُ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦].

التاسعة: أَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا.

العاشرة: الوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ.

الحادية عشرة: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ (٤).

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من بعض النسخ، وفي بعضها: وجوب محبته وتقديمها.

(٢) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء، إلا من نفسي. قال ﷺ: «**لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» قال: فلأنت أحب إليَّ من نفسي. قال: «**الآن يا عمر**». أخرجه البخاري (رقم ٦٦٣٢).

(٣) في نسخ كتاب التوحيد: «الأربع» والمثبت هو الموافق لقواعد اللغة.

(٤) قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص٢٥٤): وأصل الشرك بالله الإشراك مع الله في المحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به من دونه، فيتخذ الأنداد من دونه يحبهم كحب الله. وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم. وقيل: بل المعنى أنهم أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لله، فإنهم وإن أحبوا الله لكن لما أشركوا بينه وبين أندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله.

=

٣١ - بابٌ

قولِ الله تَعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧٥﴾[1] [آل عمران:١٧٥]. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة:١٨]. وقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت:١٠].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ إِنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[2].

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا

=

والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبة أولئك، والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الأنداد هو في هذه المحبة.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (١/ ١١٠): ومن كيد عدو الله تعالى أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه بهذا، فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾. المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧٥﴾، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦) (١٠/ ٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٢٦ رقم ٢٠٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٠٠٩).

اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، ومَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[1] رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

بـــاب

قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾. الآية

هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولابد في هذا الموضع من تفصيل، يتضح به الأمر، ويزول الاشتباه.

اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سرّي يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه الله.

وأيضاً فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة.

وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهاً أو يغضب عليه، فيسلبه نعمة، أو نحو ذلك مما هو واقع من عُباد القبور.

---

(١) أخرجه ابن حبان (رقم ١٥٤١ ـ ١٥٤٢) كما في الموارد والترمذي (رقم ٢٤١٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ آلِ عِمْرَانَ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيةِ بَرَاءة.

الثالثة: تَفْسِيرُ آيةِ العَنْكَبُوتِ.

الرابعة: أَنَّ اليَقِينَ يَضْعُفُ ويَقْوَى.

الخامسة: عَلاَمَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلاَثُ.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان. وهذا إذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم.

وإن كان هذا خوفاً وهميًّا: كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف، فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ، من الجبن[1]، فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة؛ لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب.

---

(١) فيقول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن ضلع الدين وغلبة الرجال». أخرجه البخاري (رقم ٢٨٩٣) ومسلم (رقم ١٣٦٥).

السادسة: أَنَّ إِخْلاَصَ الخَوْفِ لله مِنَ الفَرَائِضِ[1].

السابعة: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

الثامنة: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

* * *

(١) قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (ص٢٨٢): وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فجعل الخوف منه شرطاً في تحقق الإيمان، وإن كان الشرط داخلاً في الصيغة على الإيمان، فهو المشروط في المعنى، والخوف شرط في حصوله وتحققه، وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب، كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه، فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاء للمشروط عند انتفاء شرطه، وانتفاء الخوف عند انتفاء الإيمان انتفاء للمعلول عند انتفاء علته فتدبره... ثم قال رحمه الله: والمقصود: أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه.

٣٢ ـ بابُ

قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال:٢].

وقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤].

وقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ – عليه السلام – حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1] رَواهُ البُخَارِيُّ والنَّسَائِيُّ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الثانية: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الإِيمَانِ[2].

الثالثة: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَنْفَالِ.

الرابعة: تَفْسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٦٣).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٥ ـ ٤٩٦): ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة، يجب إخلاصه لله تعالى، لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، كما تقدم في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه، كما في الآية المترجم لها.

الخامسة: تَفْسِيرُ آيَـةِ الطَّلاَقِ.

السادسة: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ومُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.

* * *

٣٢ ـ بابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾[١] [الأعراف:٩٩]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر:٥٦].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّركُ باللهِ واليأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ والأمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»[٢].

وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، والقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»[٣] رَواهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد (ص١٦٣ ـ ١٦٤): وأما خوف أوليائه من مكره فحق، فإنهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم، فيصيرون إلى الشقاء، فخوفهم من ذنوبهم ورجاؤهم لرحمته، وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ إنما هو في حق الفجار والكفار، ومعنى الآية: فلا يعصي ويأمن من مقابلة الله له على مكر السيئات بمكره به إلا القوم الخاسرون. والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع اغترار، فيأنسوا بالذنوب، فيجيئهم العذاب على غرة وفترة. وأمر آخر: وهو أن يغفلوا عنه وينسوا ذكره فيتخلى عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته، فيسرع إليهم البلاء والفتنة، فيكون مكره بهم تخليه عنهم. وأمر آخر: وهو أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من نفوسهم، فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون. وأمر آخر: أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه فيفتنون به، وذلك مكر.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٩): رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون. وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٦١): رمز المصنف لحسنه. قال الزين العراقي في شرح الترمذي: إسناده حسن. وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة (رقم ٢٠٥١).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٩): وإسناده صحيح.

بـــاب

قول الله تعالى﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفاً من الله، راجيًا له راغبًا راهبًا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، إن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها، وخاف من ردها بتقصيره في حقها. وإن ابتلي بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها، وعند النعم واليسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضًا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة. ويُخشى على العبد من خُلُقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيَّع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران.

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفًا وخلقًا لازمًا. وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد. ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خيرٌ إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ الحِجْرِ.

الثالثة: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ.

الرابعة: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها. فلو عرف هذا ربَّه ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه.

وللأمن من مكر الله أيضاً سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك، فلا يزال معرضاً غافلاً مقصِّراً عن الواجبات، منهمكاً في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء، لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

السبب الثاني: أن يكون العبد عابداً جاهلاً، معجباً بنفسه، مغروراً بعمله، فلا يزال به جهله حتى يُدِلَّ بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكر الله، متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يُخذل ويُحال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذي جنى على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.

٣٤ - بابٌ
مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلى أَقْدَارِ اللهِ

وقَوْلِ اللهِ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١].

قالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الله، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ(١).

وفِي صَحيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، والنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»(٢). ولَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وعَن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ بالعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤). وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وإِنَّ اللهَ تَعالَى إِذَا

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٢٩٤) ومسلم (رقم ١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٩٦) والحاكم (٤/ ٦٠٨) (١/ ٣٤٩) وسكت عنه في الموضع الأول، وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وحسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٠٨).

أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[1]. حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

بـــاب
من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أما الصبر على طاعة الله، والصبر على معصيته، فهو ظاهر لكل أحد: أنهما من الإيمان، بل هما أساسه وفرعه، فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله.

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما. فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذه العموم، ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن الله أتم الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد، رضي بقضاء الله، وسلم لأمره، وصبر على المكاره، تقرباً إلى الله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، واغتناماً لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه، وقوي إيمانه وتوحيده.

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣٩٦) مكرر، وابن ماجه (رقم ٤٠٣١) وحسنه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢١١٠).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ التَّغَابُنِ.

الثانية: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيمَانِ بِالله.

الثالثة: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

الرابعة: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ وشَقَّ الجُيُوبَ ودَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ.

الخامسة: عَلامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ.

السادسة: إِرَادَةُ اللهِ بِهِ الشَّرَّ.

السابعة: عَلامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ.

الثامنة: تَحْرِيمُ السُّخْطِ.

التاسعة: ثَوَابُ الرِّضَى بِالبَلاءِ.

* * *

٣٥ ـ بَـابُ
مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية[١] [الكهف:١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»[٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص١٧٦): أي كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية. فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة. وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً. واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً. وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر.

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨): وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده». وهذه اللفظة أحق من غيرها من الألفاظ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده. وهذا الذي ذكرنا متفق عليه عند العلماء أنه من الشرك الأصغر، كما أن الذي قبله متفق عليه أنه من الشرك الأكبر.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٩٨٥).

المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

بـــاب

ما جاء في الرياء ثم قال

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين وروح التوحيد، والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله، وثوابه، وفضله،فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملاً لها، قاصداً بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعة ولا رياسة، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس، والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط، وهو شرك أصغر، ويُخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضاً بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٠٧).

نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها، لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها. فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا ـ وإن كان مؤمناً ـ فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده، وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً، ولكنه يأخذ على عمله جُعلاً ومعلوماً، يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين، وقصد أن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية: كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً؛ لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرف تفاصيل ذلك فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها، والله أعلم.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الثانية: الأَمْرُ العَظِيمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.

الثالثة: ذِكْرُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِذَلِكَ، وهُوَ كَمَالُ الغِنَى.

الرابعة: إِنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الخامسة: خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السادسة: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ المَرْءَ يُصَلِّي للهِ، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ.

* * *

٣٦ - بَابٌ
مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وقَوْلُ اللهِ تَعالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ الآيتين [هود: ١٥- ١٦].

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ. طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيةِ هُودٍ.

الثالثة: تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ المُسْلِمِ: عَبْدَ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ والخَمِيصَةِ.

الرابعة: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.

الخامسة: قَوْلُهُ «تَعِسَ وانْتَكَسَ».

السادسة: قَوْلُهُ: «وإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ».

السابعة: الثَّنَاءُ عَلَى المُجَاهِدِ المَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٨٨٧).

٣٧ ـ بابٌ
مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَراءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَاباً

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وتَقُولُونَ: قَالَ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ(١)!

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلى رَأْيِ سُفْيَانَ، واللهُ تَعالَى يَقُولُ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]. أَتَدْرِي ما الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ(٢).

وَعَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ،

---

(١) وعن ابن عباس قال: تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عُرَيَّةُ؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أُراهم سيهلكون! أقول: قال النبي ﷺ ويقول: نهى أبو بكر وعمر. أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٤): وقال سفيان في قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: يطبع على قلوبهم. وقال الإمام أحمد: إنما هي الكفر.

فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[1] رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

بـــاب

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله، ويعبد وحده لا شريك له، ويطاع طاعة مطلقة، فلا يُعصى بحيث تكون الطاعات كلها تبعاً لطاعته. فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل وطاعة الله ورسوله تبعاً لها، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، يتألهم، ويتحاكم إليهم، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه،

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٠٩٥) والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي. وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٦)، وأخرجه بسنده عن أبي البختري قال: سئل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرّم الله عليهم فيستحلونه. ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه، فصاروا بذلك أرباباً. السنن الكبرى (١٠/ ١١٦).

وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٢/ ١٧١): وقال أبو البختري في قوله عز وجل: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسيرُ آيةِ النُّورِ.

الثانية: تَفْسيرُ آيةِ براءة.

الثالثة: التَّنْبيهُ عَلَى مَعْنَى العِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرابعة: تَمْثِيلُ ابنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، وتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الخامسة: تَغَيُّرُ الأَحْوالِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وتُسَمَّى الوِلاَيَةَ، وعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ العِلْمُ والفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الأحوالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وعُبِدَ بِالمَعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ.

فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله.

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكماً، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصاً لوجه الله. وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر. فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربًّا، وقد حاكم إلى الطاغوت.

* * *

٣٨ ـ بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ الآيات [النساء:٦٠]. وقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة:١١]. وقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]. وقَوْلِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1] قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الحُجَّةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ ورَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ؛

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٥) والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٣٦٩) وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم:(٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه. وذكرها، ثم قال: وأما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإنسان: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وضعفه الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٢ ـ ١٣).

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ ـ وقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ ـ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ ـ فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية[1].

وقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ. فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ[2].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (رقم ٧٨١٦). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٥/ ٣٧): فروى إسحاق بن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبي قال: ... وذكره. ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس: أن حاكم اليهود يومئذ كان أبا برزة الأسلمي قبل أن يسلم ويصحب. وروى بإسناد آخر صحيح إلى مجاهد: أنه كعب بن الأشرف.

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (١/ ٤٤٦). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٥/ ٣٨): وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً، لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد، وأفاد الواحدي بإسناد صحيح عن سعيد عن قتادة أن اسم الأنصاري المذكور: قيس. ورجح الطبري في تفسيره وعزاه إلى أهل التأويل في تهذيبه: أن سبب نزولها هذه القصة ليتسق نظام الآيات كلها في سبب واحد، قال: ولم يعرض بينها ما يقتضي خلاف ذلك.

وورد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا، يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية. أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٣ رقم ١٢٠٤٥). وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٩): سنده جيد.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسيرُ آيةِ النِّسَاءِ، ومَا فِيهَا مِنَ الإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيةِ البَقَرَةِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾.

الثالثة: تَفْسِيرُ آيةِ الأَعْرَافِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرابعة: تَفْسِيرُ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾.

الخامسة: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيةِ الأُولَى.

السادسة: تَفْسيرُ الإِيْمَانِ الصَّادِقِ والكَاذِبِ.

السابعة: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ.

الثامنة: كَوْنُ الإِيْمَانِ لا يَحْصُلُ لأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

* * *

٣٩ ـ بَابُ
مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ الآية [الرعد:٣٠].

وفي صَحِيحِ البُخَارِيِّ: قَال عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ؟[1]

ورَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ، اسْتِنْكَاراً لِذَلِكَ فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، ويَهْلَكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ[2]؟ انتهى.

ولَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾[3].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: عَدَمُ الإِيْمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ.

الثانية: تَفْسيرُ آيةِ الرَّعْدِ.

الثالثة: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لا يَفْهَمُ السَّامِعُ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٢٣ رقم ٢٠٨٩٥).

(٣) فقد ثبت عن أنسٍ: أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل بن عمرو. فقال النبي ﷺ لعليٍّ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» قال سهيل: أما بسم الله، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم. ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم.... أخرجه مسلم (رقم ١٧٨٤).

الرابعة: ذِكْرُ العِلَّةِ: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللهِ ورَسُولِهِ، ولَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ المُنْكِرُ.

الخامسة: كَلامُ ابنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ اسْتَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وأَنَّهُ أَهْلَكَهُ.

باب
من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

أصل الإيمان وقاعدته التي ينبني عليها هو الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته[1]. وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به، وتعبد لله بذلك، قوي توحيده، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال، متفرد بالعظمة والجلال والجمال، ليس له في كماله مثيل، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر.

* * *

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠): فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا سلوك له. وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العَلَم الذي رُفع لهم في السير فشمروا إليه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: من رأى رسول الله ﷺ فقد رآه غاديا رائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رُفع له عَلَم فشمر إليه.

٤٠- بَـــابُ

قَــــوْلِ اللهِ تَعَـــالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١) الآية [النحل:٨٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي. وقَالَ عَوْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ: [يَقُولُونَ](٢): لَوْلاَ فُلانٌ لَمْ يكُنْ كَذَا. وقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ أَبو العَبَّاس بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بنِ خَالِدِ الذِي فِيهِ: «وأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ..» الحَدِيثُ، وقَدْ تَقَدَّمَ: وهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ والسُّنَّةِ، يَذُمُّ سَبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، ويُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، والمَلاَّحُ حَاذِقًا، ونَحْوِ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص٣٦): فذكرهم بأصول النعم وفروعها وعدَّها عليهم نعمة نعمة، وأخبر أنه أنعم بذلك عليهم، ليسلموا له، فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأس النعم. ثم أخبر عمن كفره ولم يشكر نعمه بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾. وقال مجاهد: المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لكان كذا وكذا. وقال الفراء وابن قتيبة: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا. وقالت طائفة: النعم ههنا محمد ﷺ وإنكارها جحدهم نبوته. وهذا يروى عن مجاهد والسدي، وهذا أقرب إلى حقيقة الإنكار، فإنه إنكار لما هو أجل النعم أن تكون نعمة.

وانظر تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) ما بين المعكوفين سقط من أكثر نسخ كتاب التوحيد إلا نسخة قرة عيون الموحدين.

ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ[١] .

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وإِنْكَارِهَا.

الثانية: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ.

الثالثة: تَسْمِيَةُ هَذَا الكَلامِ إِنْكَاراً لِلنِّعْمَةِ.

الرابعة: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي القَلْبِ.

باب

قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً كما تقدم، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر، ليس معه من الدين شيء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره، كما هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيفَ النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك، ولا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً.

فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره. والتحدث بها والثناء على الله بها. والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أعلم.

---

(١) في بعض النسخ: ألسنة كثيرة.

٤١ـ بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: واللهِ، وحَياتِكَ يَا فُلانُ وحَيَاتِي، وتَقُولَ: لَوْلاَ كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، ولَوْلاَ البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ، وقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، وقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلاَ اللهُ وفُلانٌ. لا تَجْعَلْ فِيهَا فُلاناً، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»[١] رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وعَنِ [ابن][٢] عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ، وصَحَّحَهُ الحَاكِمُ.

وقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِباً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٢٢٩). وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد ص٥٨٧: وسنده جيد.

(٢) ما بين المعكوفين أثبته لأنه هو الصواب، حيث إن الحديث المذكور مروي عنه كما هو ثابت في مصادر التخريج، وليس الراوي عمر بن الخطاب، بل ابنه عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ١٥٣٥) وأحمد (٢/ ٦٩، ٨٧، ١٢٥) والحاكم (١/ ١٨، ٥٢) (٤/ ٢٩٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد، وخرجاه في الكتاب وليس له علة ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٢٠٤).

صَادِقًا»[١].

وعَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلانٌ، ولَكِنْ قُولُوا: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»[٢] رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يُكْرَهُ: أَعُوذُ بِاللهِ وبِكَ، ويَجُوزُ أَن يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ». قَالَ: «ويَقُولُ: لَوْلا اللهُ ثُمَّ فُلانٌ، ولا تَقُولُوا: لَوْلا اللهُ وفُلانٌ».

بـــاب

قول الله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾. الآية، يقصد بها الشرك الأكبر، بأن يجعل لله ندًا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٥ رقم ٨٩٠٢). وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٨٠): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ١٣٠): كذلك رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٧/ ٢) بسند صحيح، ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع (٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٨٠) وأحمد (٥/ ٣٨٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٦). قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦٤ رقم ١٣٧): وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي، وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان وقال الذهبي في مختصر البيهقي (١/ ١٤٠/ ٢): وإسناده صالح.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ.

الثانية: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرُونَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الأَصْغَرَ.

الثالثة: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الرابعة: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ اليَمِينِ الغَمُوسِ.

الخامسة: الفَرْقُ بَيْنَ (الوَاوِ) و(ثُمَّ) فِي اللَّفْظِ[1].

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر: كالشرك في الألفاظ: كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ: كـ لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله: كـ لولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت. ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل.. فكل هذا ينافي التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله، ثم كذا، ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره.

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله.

---

(١) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص٥٩٥): لأن «الواو» تقتضي مطلق الجمع، فمنع منها للجمع، لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من جمع اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد. و«ثم» إنما تقتضي الترتيب فقط، فجاز ذلك لعدم المانع.

٤٢ـ بَابُ
ما جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، ومَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، ومَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»[1]، رَوَاهُ ابنُ مَاجَه بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

بـــاب
من لم يقنع في الحلف بالله

ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه، لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلاله يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله. وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل في الوعيد، لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

وأما من عرف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كذبه فيه، فإنه لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد، لأن حالته متيقنة والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٢١٠١). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٤٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالآبَاءِ.

الثانية: الأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِالله أَنْ يَرْضَى.

الثالثة: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

* * *

٤٣ـ باب
قَوْلِ: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولونَ: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، وتَقُولونَ: والكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «ورَبِّ الكَعْبَةِ، وأَنْ يَقُولوا: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»[1] رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وصَحَّحَهُ.

ولَهُ أَيْضاً عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا ! بَلْ ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2].

ولابْنِ مَاجَه عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ. قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لولا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦ رقم ٣٧٧١) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) والحاكم (٤/ ٢٩٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٦).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٩٨٨) . والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٣) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٤٤، ٢٨٣، ٣٤٧) وابن ماجه (رقم ٢١١٧) والبيهقي (٣/ ٢١٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) والخطيب في تاريخه (٨/ ١٠٥). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

أَصْبَحْتُ أَخبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا، أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا. فَلا تَقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ، ولَكِنْ قُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: مَعْرِفَةُ اليَهُودِ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الثانية: فَهْمُ الإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

الثالثة: قَوْلُهُ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: «يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ...»، والبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٢١١٨) والدارمي (رقم ٢٧٠٢) وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٩٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٨).

(٢) تسمى هذه القصيدة باسم (البردة) وهي للبوصيري وفيها من الكفر الصريح والشرك القبيح ما فيها مما يستحى من ذكره، ولولا غرض الإبانة والتوضيح والتحذير من هذا الكفر الجريء والشرك والتنديد لما خططته ببناني أو أجريته على لساني، فنعوذ بالله من الضلال وسوء الحال والمآل.

قال البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

وقال فيها أيضاً:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كان هذا لعبد الله ورسوله محمد ﷺ، فما أدري ماذا أبقى لرب محمد رب العالمين =

الرابعة: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».
الخامسة: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ[1].
السادسة: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ[2].

بــاب
قول ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

* * *

=

سبحانه وتعالى.

(١) لحديث: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» أخرجه البخاري (رقم ٦٩٨٣) ومسلم (رقم ٢٢٦٤).

(٢) هذا في حياة النبي ﷺ أما بعد وفاته، فلا يجوز لأحد أن يرى رؤيا ثم يبني عليها أحكاماً شرعية

٤٤ـ بَابٌ
مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وقَوْلُ اللهِ تَعَـالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ الآية [الجاثية:٢٤].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ»(١) وفِي رِوَايةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٢).

باب
من سب الدهر فقد سب الله

وهذا واقع كثيراً في الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر والوقت، وربما لعنوه. وهذا ناشىء من ضعف الدين، ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء، فإنه مُدبَّر مُصرَّف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبِّره.

وكما أنه نقص في الدين، فهو نقص في العقل، فيه تزداد المصائب، ويعظم وقعها، ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مناف للتوحيد. أما المؤمن فإنه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله، ويسلم لأمره، وبذلك يتم توحيده وطمأنينته.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٨٢٦) ومسلم (رقم ٢٢٤٦/ ٢).

(٢) أخرجها مسلم (رقم ٢٢٤٦/ ٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثانية: تَسْمِيَتُهُ أَذَىً لله.

الثالثة: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرابعة: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا ولَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

* * *

٤٥ـ بَابُ
التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ ونَحْوِه

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عِنْدَ الله: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلاَّ الله»[١]، قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ. وفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وأَخْبَثُهُ»[٢]. قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ.

باب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه
وباب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق. وهو أنه يجب أن لا يجعل لله ندٌّ في النيات والأقوال والأفعال. فلا يسمَّى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه، وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك، ونحوها. وحاكم الحكام. أو بأبي الحكم ونحوه. وكل هذا حفظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته. ودفع لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يُخشى أن يتدرج منها إلى أن يظن مشاركة أحدٍ لله في شيء من خصائصه وحقوقه.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٢٠٦) ومسلم (رقم ٢١٤٣).

(٢) أخرجها مسلم (رقم ٢١٤٣/ ٢١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلاكِ.

الثانية: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

الثالثة: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا ونَحْوِهِ، مَعَ القَطْعِ بِأَنَّ القَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرابعة: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لإِجْلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

* * *

٤٦ـ بَابُ
احْتِرامِ أَسْمَاءِ اللهِ وتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وإِلَيْهِ الحُكْمُ**» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَالَك مِنَ الوَلَدِ؟**» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، ومُسْلِمٌ، وعَبْدُ الله. قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»[١]، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وغَيْرُهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: احْتِرَامُ صِفَاتِ الله وأَسْمَاءِ الله ولَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الثانية: تَغْيِيرُ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ.

الثالثة: اخْتِيارُ أَكْبَرِ الأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٥٥) والنسائي (٨/ ٢٢٦ـ ٢٢٧ رقم ٥٣٨٤) والحاكم (١/ ٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٥).

٤٧ـ بَابُ
مَنْ هَزَلَ بشيءٍ فيهِ ذِكْرُ اللهِ أوِ القرآنِ أوِ الرَّسولِ

وقَولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية [التوبة: ١١٠].

عنِ ابنِ عُمَرَ، ومُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعضِهِمْ في بعضٍ: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ في غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هؤلاءِ أَرْغَبَ بُطُونَاً، ولا أَكْذَبَ أَلْسُنَاً، ولا أَجْبَنَ عِنْدَ اللقاءِ ـ يَعْنِي: رسولَ الله ﷺ وأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ ـ فَقَالَ لهُ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرآنَ قَدْ سَبَقَهُ. فَجَاءَ ذَلكَ الرَّجُلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ[1] الطَّرِيقِ. قَالَ ابنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقَاً بِنسْعَةِ نَاقةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ ـ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] ما يلتَفِتُ إِلَيْهِ ومَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ[2].

---

(١) في بعض النسخ: عَنًا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩ ـ ١٨٣٠).

فيه مسائل:

الأولى: وهيَ العَظِيمَةُ، أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ[(١)].

باب
من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أي فإن هذا مناف للإيمان بالكلية، ومخرج من الدين. لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله.

ومن الإيمان تعظيم ذلك. ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من الكفر المجرد. لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء.

فإن الكفار نوعان: معرضون ومعارضون.

فالمعارضِ المحارب لله ورسوله، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفراً وأعظم فساداً. والهازل بشيء منها هذا النوع.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٢): قول من يقول: إنهم قد كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح. لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر. فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر. وإن أريد: أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا ذلك إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم مازالوا هكذا، بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء، أي صاروا كافرين بعد إيمانهم. ولا يدل اللفظ على أنهم مازالوا منافقين إلى أن قال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر. فتبين أن الاستهزاء بآيات الله ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفرا، وكان كفراً كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه.

الثانية: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثالثة: الفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ والنَّصِيحَةِ لله ولِرَسولِهِ ﷺ.

الرابعة: الفَرْقُ بَيْنَ العَفْوِ الذي يُحِبُّهُ اللهُ وبَيْنَ الغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ.

الخامسة: أَنَّ مِنَ الاعْتِذَارِ مَا لا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

* * *

٤٨ـ بَابُ

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ». وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي». وقولُهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨]. قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المكَاسِبِ». وقَالَ آخرونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ». وهَذَا مَعْنَى قَولِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً ، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ . قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ ، أَوْ قَالَ الْبَقَرُ ، «شَكَّ إِسحاق» فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾

مقصود هذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته، أو أنه مستحق لذلك، لما يظن له على الله من الحق، فإن هذا مناف للتوحيد، لأن المؤمن حقًّا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة، ويثني على الله بها، ويضيفها إلى فضله وإحسانه، ويستعين بها على طاعته، ولا يرى له حقًّا على الله، وإنما الحق كله لله، وأنه عبد محض من جميع الوجوه، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد، وبضده يتحقق كفران النعم. والعجب بالنفس والإدلال الذي هو من أعظم العيوب.

قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً . فَقَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَو الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً ، قَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهَ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا. فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ .

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي . فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً، فَأَعْطَاكَ اللهُ عزَّ وَجلَّ المَال؟فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهَ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: ثم إنه أَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا . فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ .

قال: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ . فواللهِلا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً أَخَذْتَهُ للهِ.

فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[(١)] أخرجاه.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسيرُ الآيةِ.

الثانية: ما مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠].

الثالثة: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الرابعة: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٦٤) ومسلم (رقم ٢٩٦٤).

٤٩ـ بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[1] [2] الآية [الأعراف: ١٩٠].

قَالَ ابنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ: كَعَبْدِ عُمَرَ، وعَبْدِ الكَعْبَةِ، ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ»[3].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين (ص٣٠٨): قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠] فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما. ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث، ففعلا؛ فإن الله سبحانه اجتباه وهداه، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.

(٢) عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه: عبد الحارث. فإنه يعيش. فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» أخرجه أحمد (٥/ ١١) والترمذي (رقم ٣٠٧٧) والحاكم (٢/ ٥٤٥). وضعفه الألباني في الضعيفة (رقم ٣٤٢).

(٣) قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في معجم المناهي اللفظية (ص٣٨٠ ـ ٣٨٦): حكى ابن حزم في مراتب الإجماع: تحريم كل اسم معبد لغير الله، حاشا عبد المطلب، لما وقع فيه من خلاف، لقول النبي ﷺ يوم حنين: «أنا ابن عبد المطلب» لكن هذا لا يفيد جواز التعبيد به، لأنه حكاية نسب مضى، فهو من باب الإخبار لا من باب الإنشاء. ثم ذكر حفظه الله وعافاه كلام الخطابي في شأن الدعاء وكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ - فِي معنى الآيةِ قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لَتُطِيعَانِّنِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، ولأَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتاً، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتاً، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[1] رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

ولَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، ولَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»[2].

ولَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: «أَشْفَقَا أَلاَّ يَكُونَ إِنْسَاناً»[3]، وذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَنِ وسَعِيدٍ وغَيْرِهِمَا.

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد، وكمل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين في أبدانهم. وتمام ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا الله على إنعامه، وأن لا يُعَبِّدوا أولادهم لغير الله، أو يضيفوا النعم لغير الله، فإن ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤).

(٢) المرجع السابق (٥/ ١٦٣٤).

(٣) المرجع السابق (٥/ ١٦٣٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

الثانية: تَفْسيرُ الآيةِ.

الثالثة: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

الرابعة: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ البِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الخامسة: ذِكْرُ السَّلَفِ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ، والشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ.

* * *

٥٠ ـ بَـــابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ الآية(1) [الأعراف: ١٨٠]

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ «يُشْرِكُونَ» وعنـه: سَمُّوا اللاَّتَ مِنَ الإِلهِ، والعُزَّى مِنَ العَزِيـزِ. وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

بـــــاب

قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾

أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتَّعبُّد لله بها ودعاؤه بها.

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسـعين اسمـاً، مـن أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري (رقم ٦٤١٠) ومسلم (رقـم ٢٦٧٧).

وقال ابن القيم رحمـه الله في بـدائع الفوائـد (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧): إن الأسمـاء الحسـنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أسـألك بكـل اسم هو لك، سميت به نفسـك، أو أنزلتـه في كتابـك، أو اسـتأثرت بـه في علـم الغيـب عندك...».

الحديث أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) والحاكم (١/ ٥٠٩) وأبو يعلى (رقم ٥٢٧٦). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٩).

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى. فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق. ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة. وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها. وتمتلىء بأجل المعارف.

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً له وشكراً.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه والتفاتاً إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبدِه بها لله لا يحصِّلُ العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُملِ من الموحدين.

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى.

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة. والإلحاد أنواع:

إما أن ينْفي الملحدُ معانيها، كما تفعله الجهمية ومن تبعهم.

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين، كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم.

وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون، حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى، فشبهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة.

فحقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها: لفظاً أو معنىً، تصريحاً، أو تأويلاً، أو تحريفاً. وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ٢٤): أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميته ووصفيته، فمن حيث هو صفة، جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم، ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى حسن مجيئه مفرداً غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله، فإنه دال على صفة الألوهية، ولم يجيء قط تابعاً لغير، بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم القدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة. فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً.

وقال أيضاً رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣): الرابع: أن أسماءه الحسنى هي: أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد، فإنها تنافي

=

الثانية: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثالثة: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا[(١)].

=

علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

السادس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات.

السابع: أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا.

الثامن: أن الاسم إذا اطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل.

التاسع: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته. انتهى باختصار.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ١٦٥): الثاني عشر: في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح: المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها. المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها. المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة. والثانية: دعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود. أو يا شيء. أو يا ذات اغفر لي وارحمني. بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. انتهى.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا كربه أمر قال:: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٢٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٧٧٧). وكان يقول ﷺ: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**» أخرجه أبو داود (رقم ١٤٩٥) وابن ماجه

=

الرابعة: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ المُلْحِدِينَ.
الخامسة: تَفْسيرُ الإِلْحَادِ فِيهَا[1].
[السادسة: وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ][2].

* * *

=

(رقم ٣٨٥٨) والنسائي (رقم ١٢٩٨) وكان يقول ﷺ: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٢٤) وأحمد (٤/ ١٧٧) والحاكم (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٥٠).

(١) قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩): والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته (ل ح د) فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر، الذي قد مال عن الوسط. ومنه الملحد في الدين: المائل عن الحق إلى الباطل. قال ابن السكيت: الملحد: المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:
أحدها: أن يسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز.
الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبا...
وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير.
ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.
وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علوًّا كبيراً. انتهى باختصار.

(٢) سقط من بعض النسخ.

٥١ ـ بَابُ
لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلاَنٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تَقُولُوا السَّلامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ**»[١].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ السَّلامِ.

الثانية: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

بـــاب
لا يقال السلام على الله

وقد بين ﷺ هذا المعنى بقوله: «فإن الله هو السلام» فهو تعالى السلام، السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أحد من خلقه له، وهو المسلِّم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، وهو الغني الحميد.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٨٣٥) ومسلم (رقم ٤٠٢).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثا، ثم يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» أخرجه مسلم (رقم ٥٩١).

الثالثة: أَنَّهَا لا تَصْلُحُ للهِ.

الرابعة: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الخامسة: تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ للهِ.

* * *

٥٢ ـ بَابُ
قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»[١].

ولِمُسْلِمٍ: «ولْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لايَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[٢].

بـاب
قول: اللهم اغفر لي إن شئت

الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية: كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين: كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أُمِرَ العبد أن يسألها من ربه طالباً ملحًّا جازماً، وهذا الطلب عين العبودية ومخها.

ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم، الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه، ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور «**اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي**»[٣]. وكدعاء الاستخارة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٣٣٩) ومسلم (رقم ٢٦٧٩/ ٩).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٩/ ٨).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٦٧١) ومسلم (رقم ٢٦٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (رقم ٧٣٩٠).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثانية: بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثالثة: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ».

الرابعة: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.

الخامسة: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ.

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضررها. فالداعي يعلقها على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة ولطفاً.

* * *

٥٣ ـ بَابُ
لا يَقُلْ: عَبْدِي وأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وضِىءْ رَبَّكَ، ولْيَقُلْ: سَيِّدِي ومَوْلاي، ولا يَقُلْ: عَبْدِي وأَمَتِي، ولْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتَاتِي، وغُلامِي»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ: عَبْدِي وأَمَتِي.

الثانية: لا يَقُولُ العَبْدُ لسَيِّدِهِ: رَبِّي، ولا يُقَالُ له: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

الثالثة: تَعْلِيمُ الأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وفَتَاتِي وغُلامِي.

الرابعة: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي ومَوْلايَ.

الخامسة: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ، حَتَّى فِي الأَلْفَاظِ.

بــاب
لا يقل عبدي وأمتي

وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول عبدي وأمتي إلى فتاي وفتاتي. تحفُّظاً عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور، ولو على وجه بعيد. وليس حراماً، وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة، التي لا توهم محذوراً بوجه. فإن الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص، خصوصاً هذه الألفاظ التي هي أمس بهذا المقام.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩).

٥٤ ـ بَابٌ
لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « ومنِ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ومَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فأعِيذوُهُ، ومَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، ومَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1]. رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

بـاب
لا يرد من سأل الله
باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

الباب الأول خطاب للمسئول: وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل. وهو السؤال بالله. أن يجيبه احتراماً وتعظيمًا لحق الله. وأداءً لحق أخيه، حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

والباب الثاني خطاب للسائل: وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته. وأن لا يسأل شيئاً من المطالب الدنيوية بوجه الله. بل لا يُسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد، وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب، والنظر إلى وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه. فهذا المطلب الأسنى هو الذي يُسأل بوجه الله.

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه، فإنه لا يسأل بوجهه.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١٦٧٢) والنسائي (٥/ ٨٢ رقم ٢٥٦٥) وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩) والحاكم (١/ ٤١٢) وابن حبان كما في الموارد (٢٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٠٢١).

فِيهِ مَسائِلُ:

الأولى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله.

الثانية: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِالله[١].

الثالثة: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.

الرابعة: المُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ.

الخامسة: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلاَّ عَلَيْهِ.

السادسة: قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

* * *

---

(١) فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سألكم بوجه الله فأعطوه». أخرجه أبو داود (رقم ٥١٠٨) وأحمد (١/ ٢٥٠) وصححه الألباني في الصحيحة (رقم ٢٥٣).

٥٥ - بَابُ
لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ الجَنَّةُ»(١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ غَايَةُ المَطَالِبِ.

الثانية: إِثْبَاتُ صِفَةِ الوَجْهِ.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١٦١٧) والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٩٩) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٣٥١).

٥٦ـ باب
ما جاء في (اللو)

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ الآية [آل عمران:١٦٨].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِالله ولا تَعْجِزَنَّ، وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وكَذَا؛ ولَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

باب
ما جاء في اللو

اعلم أن استعمال العبد للفظة «لو» تقع على قسمين: مذموم ومحمود.

أما المذموم فكأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين:

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن، الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلابد من وقوعه. ولا يمكن رده. فكأن في قوله: لو كان كذا، أو لو فعلت كذا كان كذا. نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٦٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.

الثانية: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ: لَوْ، إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.

الثالثة: تَعْلِيلُ المَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

الرابعة: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلامِ الحَسَنِ.

الخامسة: الأَمْرُ بِالحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ.

السادسة: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وهُوَ العَجْزُ.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما. وأما المحمود من ذلك فإن يقولها العبد تمنياً للخير. كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة**»[١]. وقوله في الرجل المتمني للخير: «**لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان**»[٢]. و«**لو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نبأهما**»[٣] أي في قصته مع الخضر.

وكما أن (لو) إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود. فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم. فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمني الشر كان مذموماً. وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محموداً، ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٥٠٥، ٢٥٠٦) ومسلم (رقم ١٢١٦، ١٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٧٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٠١) ومسلم (رقم ٢٣٨٠).

٥٧ ـ بَابُ
النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وخَيْرِ مَا فِيهَا، وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وشَرِّ مَا فِيهَا، وشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»[1] صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

الثانية: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُهُ.

الثالثة: الإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرابعة: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ وقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

بـاب
النهي عن سب الريح

وهذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلا إن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر. وهذا خاص بالريح. ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي. فإن الريح مُصَرَّفة مُدَبَّرة بتدبير الله وتسخيره، فالساب لها يقع سبه على من صرَّفها. ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالباً لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٣١٥).

٥٨ـ بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ الآية. [آل عمران: ١٥٤] وقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ فِي الآيةِ الأُولَى: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وفُسِّرَ بِظَنِّهِم أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وإِنْكَارِ القَدَرِ، وإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ، وأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ والْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ، وإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، ومَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وحَمْدِهِ ووَعْدِهِ الصَّادِقِ.

بـــاب

قول الله تعالى﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ﴾

وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد في جميع ما أخبر الله به من أسمائه، وصفاته، وكماله. وتصديقه بكل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله. وتصديقه بكل ما أخبر به، وأنه يفعله، وما وعد به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان.

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد، لأنها سوء ظن بالله، ونفي لكماله وتكذيب لخبره، وشك في وعده، والله أعلم.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وقَدَرِهِ أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]. وأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، ولا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهِ وَمُوْجِبَ حِكْمَتِهِ وحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، ولَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتاً عَلَى القَدَرِ ومَلاَمَةً لَهُ، وأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ ومُسْتَكْثِرٌ، وفَتِّشْ نَفْسَكَ: هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وإِلاَّ فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِياً[1]

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ الفَتْحِ.

الثالثة: الإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لا تُحْصَرُ.

الرابعة: أَنَّهُ لا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَ الأَسْمَاءَ والصِّفَاتِ وعَرَفَ نَفْسَهُ.

* * *

---

(١) انتهى كلام ابن القيم باختصار. انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٥) ومختصر الزاد للمصنف رحمه الله (ص١٩٩ ـ ٢٠٢).

٥٩ـ بَابُ
مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ: والَّذِي نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ. ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»**[١]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، ومَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»** يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي»**[٢].

بـــاب
ما جاء في منكري القدر

قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٨) وأبو داود (رقم ٤٦٩٥) والترمذي (رقم ٢٦١٣) والنسائي (٨/ ٩٨ رقم ٤٩٨٧) وابن ماجه (رقم ٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٤٧٠٠).

وفي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[1].

وفي رِوَايَةٍ لابنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وفي المُسْنَدِ والسُّنَنِ عَنِ ابنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، ولَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»[2]. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ، وحُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، وزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُم حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ.

فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أن الله بكل شيء عليم، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره. ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧). وابن أبي عاصم (رقم ١٠٧) وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢) وأبو داود (رقم ٤٦٩٩) وابن ماجه (رقم ٧٧) وابن أبي عاصم (رقم ١١١، ٢٤٥) وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٥٢، ١٠٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: بَيَانُ فَرْضِ الإِيْمَانِ بَالقَدَرِ.

الثانية: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الإِيْمَانِ بِهِ.

الثالثة: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الرابعة: الإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَداً لا يَجِدُ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ.

الخامسة: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ.

السادسة: أَنَّهُ جَرَى بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

السابعة: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الثامنة: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ.

التاسعة: أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبْهَتَهُ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الكَلاَمَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ.

* * *

٦٠ـ بَابُ
مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»[١]. أَخْرَجَاهُ. ولَـهُمَا عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ**»[٢]. ولَـهُمَا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[٣].

بـاب
ما جاء في المصورين

وهذا من فروع الباب السابق: أنه لا يحل أن يُجعل لله ندًّا في النيات، والأقوال، والأفعال. والند المشابه ولو بوجه بعيد.

فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٩٥٣) ومسلم (رقم ٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٩٥٤) ومسلم (رقم ٢١٠٧) (٩٢).

في نسخ كتاب التوحيد: يضاهئون بالهمزة، بينما المثبت بلا همز كما في الصحيحين.

قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (٣/ ١٠٦): والمضاهاة: المشابهة. وقد تهمز وقُرِىءَ بهما.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٢٢٢٥) ومسلم (رقم ٢١١٠) واللفظ له.

ولـهما عَنْهُ مَرْفُوعَاً: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، ولَيْسَ بِنَافِخٍ»(١). ولِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَلاَّ تَدَعَ صُورَةً إِلاَّ طَمَسْتَهَا، ولا قَبْرَاً مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.

الثانية: التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ، وهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ لِقَوْلِهِ: «ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

الثالثة: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وعَجْزِهِمْ، لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أو حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً».

الرابعة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابَاً.

الخامسة: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسَاً يُعَذِّبُ بِهَا المُصَوِّرَ فِي جَهَنَّمَ.

السادسة: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.

السابعة: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٩٦٣) ومسلم (رقم ٢١١٠/ ١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٩٦٩) وأبو داود (رقم ٣٢١٨) والترمذي (رقم١٠٤٩) والنسائي (٤/ ٨٨، ٨٩ رقم٢٠٢٩).

٦١ - باب
ما جاءَ في كثْرَةِ الحَلِفِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»(١) أَخْرَجَاهُ.

وعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، ورَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لا يَشْتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ، ولا يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ»(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

بـاب
ما جاء في كثرة الحلف

أصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقاً. ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه عن كثرة الحلف فالكذب وكثرة الحلف، تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٨٧) ومسلم (رقم ١٦٠٦).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٦/ ٢٤٦ رقم ٦١١١) والصغير (رقم ٨٢٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٨١). رواه الطبراني في الثلاثة ... ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٠٧٢).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ ولا يُوفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[١].

وفِيهِ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[٢].

وقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ والعَهْدِ ونَحْنُ صِغَارٌ»[٣].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: الوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ.

الثانية: الإِخْبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ.

الثالثة: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لا يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ ولا يَشْتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ.

الرابعة: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الخامسة: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ ولا يُسْتَحْلَفُونَ.

السادسة: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى القُرُونِ الثَّلاثَةِ، أَوِ الأَرْبَعَةِ، وذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السابعة: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثامنة: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ والعَهْدِ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٥٠) ومسلم (رقم ٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٦٥٢) ومسلم (رقم ٢٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٢٦٥٢) ومسلم (رقم ٢٥٣٣) (٢١١).

ولفظه عند مسلم: كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات.

٦٢ ـ بابُ
مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية. [النحل:٩١].

عَنْ بُرَيْدَةَ قال: كان رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ ومَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَاً، فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أو خِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ

بــاب
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله. فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركاً لتعظيم الله، وارتكاباً لأكبر المفسدتين، كما نبَّه عليه ﷺ.

وفي ذلك أيضاً تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود خصوصاً المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.

يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تعالى، وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ؛ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لهم ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ. فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي، أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: الفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

الثانية: الإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الثالثة: قَوْلُهُ: «اغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

الرابعة: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله».

الخامسة: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بَالله وقَاتِلْهُمْ».

السادسة: الفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وحُكْمِ العُلَمَاءِ.

السابعة: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الحَاجَةِ بِحُكْمٍ لاَ يَدْرِي أَيُوافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ؟.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٧٣١).

٦٣ - بَابُ
مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ اغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[(٢)].

بــاب
الإقسام على الله
وباب لا يستشفع بالله على خلقه

وهذان الأمران من سوء الأدب في حق الله، وهو مناف للتوحيد.

أما الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله.

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأناً من أن يُتَوَسَّل به إلى خلقه، لأن رتبة المتوسَّل به غالباً دون رتبة المتوسَّل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع. وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الكائنات بأسرها.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٠١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى الله.

الثانية: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثالثة: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

الرابعة: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ...»[1] إِلى آخره.

الخامسة: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

* * *

---

(١) فعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»** أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٩) والترمذي (رقم ٢٣١٩) وابن ماجه (رقم ٣٩٧٠) والحاكم (١/ ٤٤) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦١٩). وفي رواية عن أبي هريرة: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى به بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار»** أخرجه الترمذي (رقم ٢٣١٤) والحاكم (٤/ ٥٩٧) وصححه ووافقه الذهبي. وكذا الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦١٨).

٦٤ - بَابُ
لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وجَاعَ العِيالُ، وهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»[1] وذَكَرَ الحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ».

الثانية: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّراً عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

الثالثة: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ».

الرابعة: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «سُبْحَانَ اللهِ».

الخامسة: أَنَّ المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الاسْتِسْقَاءَ.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٧٢٦) والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨رقم ١٥٤٧) وابن أبي عاصم (رقم ٥٧٥) وضعفه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٥٢).

٦٥ـ بَابُ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً؛ فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

بــــاب
ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد
وسده طرق الشرك

تقدم نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام، فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك، والفرق بين البابين: أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال. فكل قول يُفضي إلى الغلو الذي يُخشَى منه الوقوع في الشرك، فإنه يتعين اجتنابه، ولا يتم التوحيد إلا بتركه.

والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه، وأركانه، ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً وإرادة واعتقاداً.

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٨٠٦) وأحمد (٤/ ٢٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٢٤٦).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، أَنَّ نَاساً قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الغُلُوِّ.

الثانية: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».

الثالثة: قَوْلُهُ: «وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلاَّ الحَقَّ.

الرابعة: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

* * *

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٦/ ٧٠ رقم ١٠٠٧٨) وأحمد (٣/ ١٥٣ ، ٢٤١).

٦٦ـ باب

ما جاء في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(١) الآية [الزمر:٦٧].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص١٨٧ ـ ١٩٥): فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك ألبتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه.

فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال: إنه لم يرسل إلى خلقه رسولاً ولا أنزل كتاباً. وكذلك ما قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فنفى سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال: إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيه ألبتة، بل هو نفس فعل الرب جل جلاله، فيعاقب عبده على فعله، فهو سبحانه الذي جبر العبد عليه وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوق للمخلوق، وإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكره عبده على فعل أو ألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحاً، فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير، ولا هو واقع بإرادته ولا فعله ألبتة، ثم يعاقبه عليه؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وكذلك ماقدره حق قدره من لم يصنه عن نتن ولاحش ولا مكان يرغب عن ذكره، بل جعله في كل مكان، وصانه عن عرشه أن يكون مستوياً عليه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وما قدر الله حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته.

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً، وجعله سبحانه يحل في جميع مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود.

=

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»[1] أَخْرَجَاهُ.

=

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال: إنه يجوز أن يعذب أولياءه ولم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الشقاء، وأن يثيب أعداءه، ومن لم يطعه طرفة عين، ويدخلهم دار النعيم، وأن كلا الأمرين بالنسبة إليه جائز.

وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى، ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع الخلق ليوم يجازي المحسن فيه بإحسانه والمسيء بإساءته، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه.

وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعة الله، فلله الفضلة من قلبه وعلمه وقوله وعمله وماله، وسواه المقدم في ذلك، لأنه المهم عنده، يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه. انتهى باختصار.

اللهم إنا نبرأ أن يكون فينا شيء من ذلك أو أقل منه، ونسألك سبحانك أن ترزقنا من فضلك ما تعيننا به على أن نقدرك حق قدرك.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٨١١) ومسلم (رقم ٢٧٨٦).

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»[(١)]. وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[(٢)].

وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أخبرنا ابنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ»[(٣)].

وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»[(٤)]. أَخْرَجَهُ ابنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٧٨٨).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧رقم ٢٣٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٨ رقم ٤٥٢٢) وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٦رقم ١٠٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٨ رقم ٨٩٨٧) وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ رقم ٢٧٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩١): رواه الطبراني في =

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ الله. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ[1].

وَعَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرةُ خَمْسِمِائَةِ سنَةٍ وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، واللهُ سبحانه وتعالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»[2]. أخرجه أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة.

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه، لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله. وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص.

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه إنه جواد كريم.

=

الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: مختصر العلو للعلي الغفار (ص١٠٣) ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٤٧٢٣، ٤٧٢٥) والترمذي (رقم ٣٢١٧) وابن ماجه (رقم ١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٢٤٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

الثانية: أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اليَهُودِ الذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.

الثالثة: أَنَّ الحَبْرَ لَـمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.

الرابعة: وُقُوعُ الضَّحِكِ منه ﷺ، لَمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هَذَا العِلْمَ العَظِيمَ.

الخامسة: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمْنَى، وَالأَرَضِينَ فِي الأُخْرَى.

السادسة: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالَ.

السابعة: ذِكْرُ الجَبَّارِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.

الثامنة: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ».

التاسعة: عِظَمُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ.

العاشرة: عِظَمُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ.

الحادية عشرة: أَنَّ العَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ.

الثانية عشرة: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده. وقد حوى من غرر مسائل التوحيد. ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن، الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها.

والحمد لله على تيسيره ومنته. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الثالثة عشرة: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ.

الرابعة عشرة: كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ.

الخامسة عشرة: أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ.

السادسة عشرة: أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ.

السابعة عشرة: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

الثامنة عشرة: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ.

التاسعة عشرة: أَنَّ البَحْرَ الذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلاَهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ[١].

* * *

(١) يقول العبد الفقير صبري بن سلامة شاهين: الحمد لله الذي وفّق وأعان على إتمام تحقيق هذا الكتاب المبارك، وكان ذلك في الثلث الأخير من آخر يوم من شهر شعبان سنة ١٤٢٤هـ، سائلاً الله عز وجل أن ينفع به، وأن يجعله من العلم النافع الذي يعود بالأجر الجزيل والثواب الجميل عليَّ يوم لقاء ربي، فهو سبحانه الرحمن الرحيم، البر العفو الغفور، فاللهم لا تحرمني أجر هذا الكتاب وغيره وادخره لي عندك، وثقّل به موازيني، وبيّض به وجهي، وأدخلني في عبادك الصالحين الطيبين الناجين الفائزين. اللهم إن هذا الكتاب من يدي إلى يدك فبارك فيه، واقبله مني، واجعله خالصاً لوجهك الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضـــوع الصفحة

الصف والإخراج: ٤٩١٣٠١٦ ـ ٠٥٣١٦٣٠٧٩